

تونس والمجتمع المدني

الخلفيات التاريخية والمسؤوليات الحضارية

المجتمع والمدنية - دلالات ومفاهيم (1)

بقلم : عبد الجليل الميساوي

المجتمع المدني مصطلح حضاري حديث الظهور ، لم نجد فيما وفقنا إلى الاطلاع عليه من دراسات حول الفكر الإنساني القديم ما يفيد اجتماع العبارتين « مجتمع » و « مدني » في صيغة واحدة ومصطلح دلالي واحد قبيل عصر النهضة ، وإنما الذي كان سائدا قبل ذلك وطيلة عصور طويلة هو استخدام عبارة « مجتمع » وعبارة « مدني » كان على حدة في استقلال تام لا يتقص منه ولا يقلل من أهميته بين العبارتين من اشتراك ضمنى في بعض المعاني وما تتضمنه كل منهما من بعض الدلالات ذات الصلة الوطيدة بمضمون الأخرى .

* . المدنية

لما كان لكل عصر ولكل جيل ولكل شعب جهازه المفاهيمي الخاص المستمد من واقع الفكر والحضاري ، والذي يتعامل به مع نصوص اللغة ومصطلحاتها الدلالية المتداولة بين الناس فقد عرفت عبارة « مدني » عبر العصور والأقطار تحولات دلالية متوالية نكتفي منها بالإشارة إلى المعاني التالية :

1 - المدنية تميز بين الحالة الطبيعية والأوضاع الإنسانية في الحياة البشرية ، والراجع أن أقدم ما احتفظ به الفكر الإنساني من مقولات في هذا المعنى يعود إلى سقراط (399 ق م) ، ويتمثل في مقولته الشهيرة التي تبنّاها ابن خلدون (1406 م) ونرى عليها نظريته في علم الاجتماع [الإنسان مدني بالطبع] وهو يريد بها التمييز بين الحالة الطبيعية بما فيها من بساطة في العيش والحياة ومن نزوع إلى الفردية والتصرفات التلقائية غير المقتنة بغير قوانين الغريزة

والجبلقة الإنسانية بما يميزها من ميل الإنسان إلى التصرك فيما حوله وسعيه إلى تغيير واقعه باستمرار وتطوير ظروف حياته نحو الأفضل وما يفرضه هذا الميل من نزوع إلى الاجتماع والتعاون .

2 . المدينة ضدّ البداوة ، فقد استخدمت عبارة مدني للدلالة على ساكن المدينة وبذلك اكتسبت مدلولاً عمرانياً وجغرافياً لا مجاز فيه ولا كناية . ومن ثمّ اشتركت [المدنية] و [الحضارة] في دلالة واحدة تعني الحضور والاستقرار والإقامة بدل البداوة والترحال . وعلى هذا الأساس ميّز ابن خلدون بين نوعين من العمران البشري : عمران حضري وعمران بدوي . وعلى هذا الأساس أيضاً قسمت اللغة التونسية الأهالي إلى فشتين (بلدية) أو (حضر) وهم سكان المدن والعواصم والمحواضر في مقابل أهل البداوة والريف ويسمى الواحد منهم (عربي) أو (بدوي) أو (شعراوي) أو (ريفي) .. إلخ ..

3 . المدينة مصطلح علمي : تقتضي الدراسات اللغوية والاجتماعية التمييز بين الدلالات التي تكتسبها الألفاظ بوضعها اللغوي الأول وبين المضامين التي تكتسبها بالوضع الثاني إذا تحوكت إلى مصطلح علمي أو فلسفي أو حضاري وهو ما حصل فعلاً بالنسبة إلى عبارة « المدني » التي تطوّرت لتتجاوز الدلالة العمرانية التي تعني سكن المدينة إلى الدلالة على ما يستتبع سكن المدن والتجمعات البشرية من تعاون وتأزر وتبادل الخبرات والتجارب والأفكار والمصالح في شتى الحياة ومختلف مجالاتها ، وهذا التبادل إنّما يتجسّم في ما ينجزه الإنسان من وسائل وتقنيات ، لا يمكن أن يمارس إلا بواسطتها . وربما يكون هذا الذي أدّى إلى التفريق بين المدنية والحضارة في الدلالة والمضمون حتّى كاد يجمع مؤرّخو الحضارة وباحثوا الآثار على صرف كلمة « الحضارة » إلى الدلالة على كل ما هو إنساني مقابل صرف « المدنية » إلى الدلالة على كل ما هو مادي وحتّى غدا رائجا بين الناس أن « الحضارة هي ما نحن عليه والمدنية هي ما نستعمل من وسائل ، ومهما يكن لهذا التمييز من وجهة فإنّ فقه اللغوتاريخ الحضارة جميعاً يؤكّد أنّ اللغظين قد انطلقا بالوضع الأوّل للدلالة على معنى واحد مشترك بينهما يترادفان للتعبير عنه وهو معنى جغرافي يرتبط فيه الإنسان بمكان معيّن ارتباط استقرار وإقامة ، ثمّ جدّت

التدقيقات العلمية التي فرضتها البحوث والدراسات الحضارية والأثرية فأعطت لكل من الكلمتين وضعاً ثانياً أصبحت معه مصطلحاً مستقلاً مخالفاً لمضمون اللفظ الآخر الذي كان مرادفاً له بالوضع الأول ، ثم إنه بالنظر إلى ما تقتضيه الحياة الإنسانية من تشابه العلاقات البشرية : الاجتماعية منها والاقتصادية والثقافية والعمرائية بين المدينة والريف من ناحيتين أقطار العالم وشعوبه حتى أصبح القطر الواحد مهما اتسعت أرجاؤه عن مدينة واحدة متشابكة العلاقات مترابطة المصالح فقد عادت كلمة المدينة لتأخذ وضعاً ثانياً جديداً تتجاوز به دلالاتها الجغرافية وتتخلص من دلالتها التقنية العلمية لتأخذ مدلولاً حضارياً إنسانياً يتمثل في جملة من قيم التعايش والتعاون في إطار الأمن والسلم والتكامل والتكافل .

لقد أصبحت الحياة الانسانية اليوم عبارة عن احتكاك دائم وعلاقات متشابكة ومصالح متبادلة بما يلزم الفرد البشري بالتنازل التلقائي عن جانب من إرادته الشخصية لفائدة الإرادة العامة وتحمل بعض القيود لفائدة حماية علاقاته وضمان حدٍّ معقول لنجاح معاملاته فيكون مدعواً باستمرار إلى مزيد من المرونة في طباعه والتعديل من سلوكه وعاداته بـكيفية تسمح له بالتعايش مع حياة مدنية مشتركة ، وتحرك فيه هذه الضغوط في التطبع في السلوك وأساليب التعامل إلى طبيعة حقيقية وسجية راسخة ..

وهكذا تعود الكلمتان « مدنية » و « حضارة » لتلتقيا من جديد ولتتحولا إلى مصطلحين حضاريين حديثين يتجاوز مضمونهما الدلالي ما كانتا قد اكتسبتهما بالوضع اللغوي وما فرضته عليهما التنظيرات الفكرية والبحوث الأثرية ولتصبح المدنية سلوكاً إنسانياً وليس مجرد وسائل مادية لتصبح هذا السلوك المدني أساساً لكل عمل حضاري وهو المعنى الذي تتجه إليه اليوم دلالة مصطلح « مجتمع مدني » .

4. المدنية مصطلح تاريخ إسلامي خاص : لقد اكتسبت عبارة « مدني » في الدراسات والأخبار الإسلامية المتعلقة بحياة الرسول ونزول القرآن معنى خاصاً هو عبارة عن دلالة تقابلية ظرفية تعني تقسيم حياة الرسول ونزول القرآن إلى فترتين متقابلتين متمايزتين هما : فترة ما قبل الهجرة وسميت بالفترة المكية وسمي القرآن

الذي نزل خلالها بالسور المكيّة ما بعد الهجرة وسُمّيت بالفترة المدنيّة، وما نزل فيها من سور وآيات مدنيّة .

5 - المدني مقابل ماهو ديني وهو مصطلح لثن عرّفه المسلمون مبكراً من خلال تمييزهم بين السلطة الزمنيّة وهي السلطة المدنيّة وبين السلطة الدينيّة ، وقد بدأ هذا التمييز واضحاً في غزوة بدر الكبرى حيث حدّد الرسول لجيشه موقعا في المعركة لم يعجب الصحابي الحباب بن المنذر ورأى فيه من الضعف وسوء الاختيار ما لا يضمن النصر فقال : يا رسول الله أهو منزل أنزلكه الله أم هي الحرب والمكيدة فقال بل هي الحرب والمكيدة فقال الحباب : انهض بالناس فإنّ هذا ليس بموقع .

لئن عرف المسلمون هذا التمييز مبكراً ، ولئن فرّقوا بعد ذلك في دراساتهم الشرعيّة بين السياسة الشرعيّة والسياسة المدنيّة، فإنّ مضمون المجتمع المدني المفاارق لمضمون المجتمع الديني لم يتبلور إلا مع فلاسفة التنوير المؤسسين للنهضة الفكرية والاجتماعية والانقلاب السياسي والحضاري في أوروبا حيث كانت دعواتهم متوجهة إلى إقامة مجتمع مدني يسوسه العقل الإنساني والسلطة السياسية والتقنين البشري وترفع فيه وصاية الكنيسة وهيمنة رجال الدين على سياسة الدولة وقيادة المجتمع . ونادوا بالغاء كل سلطة غير نابعة من واقع الشعب الاقتصادي والاجتماعي وغير مستندة إلى اختيار الناس ووعيهم ورضاهم مما يستبعد كل « هيمنة وكلّ تسلّط فوقيّ مهما كان مأثهما ، وريّما يكون هذا المعنى هو مصدر المفارقة بين ماهو مدني وماهو عسكري تلك المفارقة التي توسّعت دلالتها وعمّت لتشمل التمييز بين المدني وبين كلّ من يرتدي زيّاً رسمياً موحّداً كان أو أمنياً أو كشافياً أو رياضياً أو طبياً ... الخ ، وذلك بسبب ما يستلزمه الزي الرسمي عادة من انضباط لسلطة فوقية وتراتب صارمة لا تقبل الحوار والمناقشة ثم لما في الزي الرسمي عادة من فقدان لحرية الاختيار ومنع للاختلاف والتنوع .

*. المجتمع :

أمّا عبارة مجتمع فهي تمثّل اصطلاحاً عربياً في القدم تقتصر دلالته على الجماعة البشرية ذات الروابط المشتركة والمقومات الموحدة سواء كانت هذه الجماعة كبيرة أو صغيرة ، وإنّما خصّصت الجماعة البشرية بهذا المصطلح دون غيرها من

الجماعات الحيوانية التي يتعايش أفرادها في جماعات في شكل أسراب أو قطعان أو مجموعات لما في تعايش الجماعة البشرية من خصوصيات تمنحها طابع المدنية وتجعله جديرا وحده بأن يسمى مجتمعا دون غيره من ضروب التعايش الحيواني الذي تحكمه الغريزة وتوجهه الرغبة في تحصيل الغذاء وحفظ النوع بواسطة التلاحق العابر الذي لا يستند في علاقاته إلى وشائج ثابتة مثل تلك الوشائج التي تكتنف الصلات والعلاقات الرابطة بين أفراد البشر والتي تتجاوز ما تخليه الغريزة والضروريات الطبيعية إلى نوع من الاختيار الإرادي ومن الالتزام بالوشائج والمسؤوليات المترتبة عن هذه العلاقة أو تلك من ذلك مثلا :

1 . تجاوز مجرد الأُنس بأفراد النوع إلى الشعور بضرورة التعاون والتكامل معهم .

2 . ينتهي الاجتماع البشري إلى صهر ميول المتعاشين وإرادتهم الفردية في إرادة جماعية موحدة مما يجعل للمجموعة المتعاشية شخصية معنوية وذاتية تتجاوز الذاتية المادية لكل فرد من أفرادها

3 . قيام المجتمع البشري صغيرا كان أو كبيرا على معايير للعشرة والتعايش وبناء علاقات إنسانية صاغتها أعراف وتقاليد متغيرة متطورة تختلف الزمان والمكان وترعاها تشريعات قانونية ورأي عام يمنح الأفراد من مخالفتها ، ومن ثم فقد اجتمع الوضع اللغوي والمصطلحات الاجتماعية والسياسية على عدم السماح باطلاق اسم « مجتمع » على غير الجماعة البشرية ذات الروابط المشتركة والخصوصيات المتوحدة ، وباعتبار ما لكل عصر أو جماعة بشرية من الخصوصيات المميزة ومن القيم التي توجه حياة الناس في هذا المجتمع أو ذاك فقد استخدمت عبارة « مجتمع » في الدراسات القديمة والوسيلة وحتى الحديثة لتصنيف الجماعات البشرية باعتبار التحولات الحضارية العامة إلى : 1 . مجتمع صيد ، 2 . مجتمع رعوي ، 3 . مجتمع زراعي ، 4 . مجتمع صناعي ، 5 . مجتمع سياسي ، 6 . مجتمع مدني ، وأمكن تصنيف المجتمعات البشرية باعتبار حضاراتها إلى الحضارة المحلية التي سادت في فترة تاريخية معينة فقبل : المجتمع الباهلي والمجتمع اليوناني والمجتمع الروماني ... الخ ، كما صُنِّفَت الجماعات البشرية تبعا لوضعها العمراني

إلى : 1 . مجتمع حضري ، 2 . مجتمع قروي ، 3 . مجتمع ريفي 4 . مجتمع بدوي إلخ .

* قيم المجتمع المدني في مسارها التاريخي :

.. من التنظير إلى الممارسة :

لا يمكن عمليا الكلام عن المجتمع المدني بمفهومه الحديث قبل القرن السابع عشر ، إلا أنه يمكن رصد بعض الأفكار والمعاني القريبة وملاحظة بعض الممارسات والاستعمالات الشبيهة في أزمنة مبكرة وموغللة في القدم يتحتم الوقوف عندها لتعرف ما إذا كانت بمثابة الإرهاصات الأولى للمجتمع المدني كما نتصوره اليوم ، أم أن لها دلالات مختلفة ؟ ... لقد عرفت الحضارة اليونانية محاولات نظرية لرسم تصوّر للملامح المجتمع الإنساني بخصوصياته المدنية التي تضمن للفرد والجماعة الأمن والتعاون والسعادة وتبرز هذه المحاولات الأولى في أفكار أكثر الفلاسفة اليونانيين وبصورة أخصّ في فلسفة سقراط « 399 ق . م » الذي تعزى إليه أقدم مقولة في هذا السياق : « الإنسان مدني بطبعه » وفي فلسفة أفلاطون (347 ق م) من خلال كتابه « الجمهورية » وفي فلسفة أرسطو (322 ق م) من خلال كتابه « السياسة » ، وما دام ليس بالإمكان في هذه الدراسة الموجزة متابعة الظاهرة في مختلف الحضارات البشرية وفي جميع مراحل تاريخ الفكر الإنساني القديم فأننا نكتفي بالمرحلة اليونانية كأساس للمرحلة النظرية الأولى ونتنقل مباشرة إلى مرحلة الممارسة والتطبيق في العصر الحديث إلى فلاسفة التنوير في أوروبا حيث ظهرت فكرة « المجتمع المدني » كمبدأ يسعى مؤسسه إلى تخلص الدولة والمجتمع من سلطة الدين والكنيسة ومن سلطة الاستبداد وما سمّاه ابن خلدون « 1406 م » بالملك الطبيعي القائم على الفهر والاستعباد فقد بدأ هؤلاء الفلاسفة منذ القرن السابع عشر يدعون إلى إقامة « مجتمع مدني منظم بفضل قوانين تقوم على تنفيذها سلطة سياسية قبلية للنقد والمراجعة المستمرين ، ومتدرجة نحو التطوّر تبعاً لتطوّر أوضاع الواقع الاجتماعي والاقتصادي وتغيّر معطياته الموضوعية .

وقد تطوّر مفهوم المجتمع المدني وتدرّج نحو الوضوح وقابلية الممارسة

والتطبيق حتى تبلورت مضامينه مع الفيلسوف الهولندي « باروك سبينوزا 1632 - 1677 » الذي دافع بحماس عن مبدأ « المجتمع المدني » ضد هيمنة السلطة العسكرية ضد تسلط رجال الدين ومن ثم فقد كان « المجتمع المدني » في تصوّر فلاسفة الغرب خلال عصر النهضة يعني الفصل بين الدين والدولة ، بين المقدّس وما يقبل النقد ، بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية ، ويعني بالتحديد إقامة مجتمع يغيب فيه التسليم الأعمى خوفا من القهر أو تقديسا لما يعتقد أنّه مقدّس ، فالدعوة إلى إقامة مجتمع مدني تعني الدعوة إلى التحوّل من المجتمع التراتبي القديم إلى مجتمع المساواة والحرية والعلاقات الأفقية ...

أمّا الفيلسوف الألماني فريدريك هيغل (1770 - 1831) فقد خطا بصورة المجتمع المدني خطوة جعلته أقرب ما يكون إلى التصرّو المعاصر إذ اعتبره « مجموع المؤسسات التي تستجيب لحاجيات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتي تحتكم إليها المصالح العامة عند التنازع » ، ولكن مفهوم المجتمع المدني ومفهوم الدولة يبقيان عند هيغل متداخلين على خلاف ما آل إليه النظر والتصور عند المفكر السياسي الفرنسي الكسيس دي توكفيل (1805 - 1859) وخاصة من خلال كتابه « الديمقراطية في أمريكا » وكتابه « النظام القديم والثورة » حول التاريخ السياسي والاجتماعي الفرنسي ، فقد أتيح لتوكفيل أن يدرس المجتمع الأمريكي خلال ثلاثينات القرن التاسع عشر فنبعت في ذهنه فكرة المجتمع المدني من الغياب شبه الكامل لمؤسسات الدولة في المجتمع الأمريكي حيث كان النظام والتماسك السياسي والاجتماعي يقومان على شي . من العلاقات التلقائية بين الجماعات ، لا تزيد عن شي . من الترابط الفيدرالي الاختياري بين جماعات محلية تمارس الحكم الذاتي ، بحيث كان المجتمع الأمريكي وقت ذاك هو الطاقة المحركة للأفراد والجماعات والدافعة لهم إلى الانتظام في جمعيات متعددة ومتنوعة من جماعات محلية وجمعياتية وأخرى خيرية للمساعدة والتضامن شملت مختلف النشاطات الفنية والمؤسسات التعليمية وطالت مجال حفظ الأمن وحماية النظام العام بحيث كان المواطن الأمريكي وقتها وحتى اليوم يتعلّم منذ نشأته وبصورة تلقائية سبل الإعتماد على النفس وأخذ المبادرة الذاتية ولا يطلب تدخل السلطة إلا إذا استحال

عليه الاستغناء عن تدخلها ، وشيها بهذا التصوّر كان مسار المجتمع المدني عند المفكر الماركسي والسياسي والصحفي الايطالي انطونيو غرامشي (1891 - 1937) هذا المفكر الذي فصل بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني ، معتبرا أنّ المجتمع السياسي هو مجتمع تسوسه الدولة وما يعارض سياستها من ايدولوجيات تعطي سلطة خاصة للقناعات الفكرية والايديولوجية والولاءات الحزبية والمذهبية ، بينما المجتمع المدني تسوسه سلطة الوفاق والتعاون القائمة على تنظيمات ومؤسسات غير حكومية ليس فيها في الغالب أهداف سياسية ، وتقوم هذه التنظيمات النقابية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والشبابية ، والمؤسسات الخاصة ، وشبه العمومية بتأطير أفراد المجتمع وجماعات المواطنين وتعوّض الهيمنة السياسية والايديولوجية في توجيه الناس وقيادتهم نحو ما فيه خيرهم ومصالحهم ، أمّا في الفكر العربي الإسلامي في عصر النهضة فإنّه يمكن الوقوف عند التصوّر الذي عمل على تجسيده الأديب والصحفي السوري عبد الرحمن الكواكبي « 1849 - 1902 » وخاصة من خلال كتابه « أمّ القرى » و « طبائع الاستبداد » ففيهما نقد للسياسات القائمة في الشرق العربي والإسلامي ، وفيهما رسم للملامح العلاقات المدنية التي ينبغي أن تقوم عليها العلاقة بين الدولة ورعاياها والتي ينبغي أن تقوم عليها العلاقة بين الشعوب الإسلامية والعربية في الحاضر والمستقبل

***. قيم المجتمع المدني في الحضارة التونسية :**

١. المجدور التاريخية :

تتمتّع تونس بموقع استراتيجي ممتاز في حوض البحر الأبيض المتوسط سمح لها بأن تكون لنفسها علاقات وطيدة عبر العصور ، وترتبط صلات إنسانية عالمية متينة من خلال إطلالها على ثلاث قارات وتأثرها بما يجدّ فيها من تحولات ، وتأثيرها فيها ، ومن ثمّ فلن يكون من التعسّف ولا من التمثّل التأكيد على ما للحضارة التونسية من رصيد ضخم وإسهامات ثرية في بناء الحضارة والفكر الإنسانيين ، وخاصة في إرساء قيم المجتمع المدني والمساهمة في بلورة تصوّره وتحديد ملامحه نظريا وعمليا ، فقد تركت الحضارات المتعاقبة على هذه البلاد تهارب جدّ ثريّة استفادات منها شعوب العالم القديم والحضارة الإنسانية كثيرا ، نكتفي منها

بالوقوف عند المحطات التاريخية التالية : 1. الحضارة القرطاجية ، 2. الحضارة الإسلامية ، 3. الفكر الخلدوني ، 4. محاولات الإصلاح ، 5. الحركة التحريرية ومقاومة الاستعمار .

١. الحضارة القرطاجية :

أوّل ما يمكن رصده من قيم المجتمع المدني في تاريخ الإنسانيت وفي الحضارة التونسية القديمة هو ذلك النموذج المتميّز لهيكله مؤسسات الحكم وتوزيع السلطة ، الذي عرفته الحضارة البونيقية في تونس وما تتضمنه هذه الهيكله وهذا التوزيع من توجّه واضح نحو الحكم الجماعي على حساب الحكم الفردي والتصرّف الأحادي . فقد أثبتت الروايات التاريخية أنّ هيكله مؤسسات الحكم في الحضارة القرطاجية كانت تقوم على التوزيع التالي :

1 . مجلس ثانّي للحكم هو بمثابة السلطة التنفيذية ويتكوّن من حاكمين اثنين يعيّنان لمدة عام واحد .

2 . مجلس شيوخ وهو مجلس جماعي موسّع بكون من أهل الخبرة والأقدمية في خدمة الدولة يدعى للإنتعقاد عند الحاجة والنظر في القضايا المصيرية التي تهم شؤون الدولة .

3 . مجلس الشعب أو مجلس المواطنين وهو المجلس الجماعي الأوسع يتولّى تعيين الحكام والولادة وقواد الجيش .

ويدون دخول في التفاصيل والمجزئيات ، ويدون الحديث عن الصلاحيات المخوكة لكلّ مجلس وعن نوعية التقنيات التنظيمية المعتمدة في تفسير هذه المجالس ، ويدون بحث عن مصدر هذه التقنيات وهل هي محلّية مبتكرة أم هي وافدة مقتبسة من حضارة أخرى كان القرطاجيون على اتّصال بها ، يدون هذا وذاك فأنه من الجدير بالعناية والاهتمام أن نتجاوز هذه التفاصيل لغاية الوقوف عند بعض الخصوصيات التي تعتبر من صميم قيم المجتمع المدني الحديث في هذا النظام المجتمعي السياسي السائد في الحضارة القرطاجية التونسية القديمة والتي منها :

1 . تداولية السلطة والتناوب على مسؤولية الحكم بعيدا عن استمرارية بقاء المعين مدى الحياة أو مدى ما كان قادرا على النهوض بمسؤولياته ولم يصب بعجز يقعه

عن القيام بشؤون الحكم ويعيدا عن نظام الوراثة وغير هذا وذاك من ضروب الاحتكار للسلطة .

2 . اعتماد التصرف الجماعي في إطار مؤسسات رسمية وشعبية بعيدا عن الفردية والاستبداد بالسلطة .

3 . توسيع مجال المشاركة في مسؤوليات القيادة والحكم إلى أقصى حدّ تسمح بمعطيات الواقع .

في ظلّ الحضارة الإسلامية :

لمتابعة مسار قيم المجتمع المدني في الحضارة التونسية بعد الفتح الإسلامي يكون من الضروري المتأكد الوقوف عند جملة من المبادئ والقيم الانسانية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام واعتنقها أهل افرقية هذا الدين الجديد وتمسكوا بها وأخلصوا لها بقدر تمسكهم بدينهم وإخلاصهم له وهي قيم منها ما ورد به صريح القرآن والسنة ومنها وما تضمنته مواقف سلوكية أو قصص رمزية ، وإنّ آيات القرآن لتزخر بدعوات كثيرة متنوعة توجّه الناس إلى المسألة ونبذ العنف وتحثهم على قبول النقد والمعارضة والاستماع إلى الرأي المخالف ولو كان جارحا ، وإنّ فيها لشيئا كثيرا من الاهتمام بتربية الأفراد وتهذيب نفوسهم حتّى تكون مستعدة للمتعاامل الودّي ، مقبلة على التعاون والتكامل مع الغير بقطع النظر عن جنسه أو لونه أو دينه ، وكفينا من ذلك الإشارة إلى بعض العيّنات التي منها قول الله تعالى :

« لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم » سورة فصلت 33 .

وقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » سورة الأنفال 47 .

وقوله : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » سورة النحل 125 .

وقوله : « لا ينهاكم الله عن الذين لا يقاتلوكم في الدين ولا يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحبّ المقسطين » سورة الممتحنة آية 8 .

وقوله : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » سورة البقرة 255 .

وقوله : « ولو شاء ربك ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما أنت عليهم

بوكيل ، ولا تسيبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » سورة الأنعام 108 . 109 .

وإن أروع قيم المجتمع المدني في القرآن من خلال قصة استخلاف آدم في الأرض وإسجاد الملائكة له ، فقد سجل القرآن في هذه القصة نوعين من الاعتراض جذبرين أن يكونا محل اعتبار واقتداء لإرساء قيم المجتمع المدني الحديث ، فقد اعترض الملائكة على الأمر الإلهي في تخصيص آدم بالخلافة ونقدوه صراحة ووضوح حيث « قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ » ولكن صاحب الأمر والقرار لم يستكبر ولم يتفطرس بل عمل على إقناعهم باللين والرفق والدليل الواضح المقنع المؤكد لحطنتهم وعدم أصابتهم الحق فيما ذهبوا إليه فقال : « إني أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة قال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا .. » سورة البقرة 29 - 30 .

وهكذا انتهت المعارضة وحلّ الوفاق والمواقفة محلّ النقد والمخالفة .

وأما النوع الثاني من المعارضة في هذه القصة فهو ضرب من التحدي والرفض العنيد واجنه به إبليس أمر ربه بالسجود لآدم فسامنته مصرّاً على الرفض و « قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » سورة الأعراف 11 .

ولكن صاحب السلطة والأمر وهو الله تعالى لم يعدم هذا المعارض الرافض المتحدي رغم قدرته عليه ولم يخضعه لأمره بالقوة والقهر بل تركه ليتحمل مسؤولية رفضه ونتائج عناده فذهب معه إلى أبعد من ذلك فاستجاب لطلبه البقاء في صف المعارضة والسعي إلى إغواء الناس وجرحهم إلى معصية الله والمخالفة عن أمره فقد قال : « رب أنظرني إلى يوم يبعثون ، قال فأنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » سورة : ص - آية 78 . إنها قصة رمزية ذات مغايري مدنية عميقة في مقدمتها دعوة الحكام وأصحاب السلطة إلى قبول الاعتراض على قراراتهم ونقد اختياراتهم والاستماع إلى المعارضة والآراء المخالفة فما دام الله تعالى قد قبل المعارضة لأحكامه فكيف لا تكون هذه المعارضة أجوز وأحتم على قرارات البشر ، وكيف لا تكون أجوز من هذا

أو ذاك على مواقف وآراء أفراد ليست لها صبغة رسمية ، ومثل هذه الومضات والإشارات الهادفة إلى تربية الناس على الحسّ المدني والعلاقات الاجتماعية ذات البعد الإنساني التي تتكافل فيها جهود الناس وخبراتهم وتتآزر إمكانياتهم تجد لها تظافر في نصوص السنّة النبوية التي نورد منها الأحاديث التالية :

« قال رسول الله : « والله لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا »

« وقال أيضا : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه »

وكم كان هذا النبي الإنسان رائعا في مواقفه المتسمة باللين والرفق والمرونة والتسامح حتى في حال انتهاك أقدس المقدّسات ، فقد روي عنه أنّه كان جالسا مع أصحابه في المسجد ومعهم أعرابي حديث العهد بالإسلام فقام هذا الاعراب إلى ركن من المسجد فبال فيه ، فأراد الحاضرون من الصحابة أن يتعاوروه بسببهم فقال لهم رسول الله في هدوء ورواية ظاهرين « « دعوه وأريقوا عليه سجلا من ماء »

« وكان عليه السلام لا يتحرّج من قبول النقد حتى ولو كان لاذعا ، ومن المواقف الماثورة عنه في ذلك مواجهة أحد الأعراب له وهو يقسم الغنائم بقوله : « اعدل يا محمد فانك لم تعدل » فاكتمى بالردّ عليه في مرارة ظاهرة « ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل » ومنع من حوله من الصحابة من قتله أو العدوان عليه قائلا لهم « لا تقتلوه فإن الله سيخرج من ضنّضى هذا أقواما يتلون كتاب الله غضا نديا »

« وقد بدت هذه القيم الضرورية لبناء المجتمع المدني واضحة في سلوك كبار الصحابة وقادة المسلمين ، خلال الصدر الأول فأقام أبو بكر سياسته على مبدأ « أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعيتوني وإن أخطأت فقوموني » ، وأقام عمر سياسته على قاعدة « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ، وأقام عثمان سياسته على أساس أن وحدة الجماعة وسلامة الأمة فوق كلّ المقدّسات فلم يتردد حين اختلف الناس في قراءة القرآن إلى حدّ تبادل التهم بتحريف القرآن ، أن جمع القرآن في مصحف موحد سمّاه (المصحف الإمام) وأمر بالزام الناس باتباعه ، وأحرق ما سواه من الكتابات القرآنية التي يعتبرها أصحابها أقدس ما ورثوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم باعتبار أن أغلبهم كتب ماكتبه من إملاء الرسول مباشرة .

وأقام عليّ سياسته على تقديم التحكيم على العنف ولو كان في موقف القوة ورغم أنه خسر بسبب التحكيم كل شيء ، حتى حياته فإن تصرفه ذلك يتضمن الكثير من القيم التي يتطلبها المجتمع المدني والتعايش السلمي الآمن من الأحقاد والصراعات .

وأما معاوية فقد أقام سياسته على قاعدة « لو كان ما بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت لأتّي إذا شدّوا أرخيت وإذا أرخوا شددت » مع ما في هذا المبدأ السياسي من مرونة التعامل ومراعاة الظروف في اتخاذ المواقف .

لقد احتلت هذه القيم والمبادئ من نفوس أهل افرقية موقعا مكيئا فتمسكوا بها وناضلوا من أجلها قرونا ، من أجلها كانوا أكثر الأقالييم الإسلامية ثورات على أمرانهم وولاتهم كلّما رأوا بعضهم قد انحرف عنها حتى قال عنهم موسى بن نصير في كتابه إلى الخليفة الأموي في دمشق « هم يا أمير المؤمنين أشبه الناس بالعرب لقا ، ونجدة وصبرا وفروسية وسماحة وبادية غير أنهم أغدر الناس لا وفاء لهم ولا عهد » هذا الحكم الذي يبدو قاسيا لولا التفسير الذي أعطاه أحمد بن أبي الضياف في ردّه على موسى بن نصير حيث قال : « وهذا طبيعي فإن نفوسهم تسكن للواحد منهم نشأ في أرضهم ولو من الموالي إذ مولى القوم منهم مالا تسكن لثل عمر بن عبد العزيز أتاها من غير أرضهم » .

ومن أجل التمسك بهذه القيم اعتنق أهل افرقية العقيدة الأشعرية القائمة على نبذ العنف والتطرف واجتناب الفتنة إلا إذا فرضت عليهم ولم يجدوا منها مهربا . هذه العقيدة الأشعرية التي أساء إليها كثير من النقاد المحدثين من ذوي النزعة الشورية بسبب مبدئها القائم على « وجوب طاعة الحاكم بركا كان أو فاجرا وعلى اعتبار الخروج عليه فتنة والفتنة أشدّ من القتل » والحال أن هذا المبدأ هو الذي تقوم عليه النظم السياسية الحديثة وعلى أساسه رفض السفياتيون الانصباع للانقلابيين الذين حاولوا الاطاحة بقرياتشوف رغم تصويتهم بعد مدة قصيرة ضد حكمه مما أفضى إلى حلّ الاتحاد السوفياتي والذهاب بالاشتراكية الشيوعية إلى حيث لا ينتظر لها رجوع إلى تلك الربوع . إنّه احترام شرعية النظام القائم والسلطة الحاكمة حتى يتم تغييرها وفق التراتيب الدستورية المعمول بها . وإنّ احترام شرعية

القيادة وشرعية القوانين لهو أرقى قيم المجتمع المدني الحديث وهو ما سبقت به العقيدة الأشعرية غيرها من المذاهب الإسلامية وغير الإسلامية .. وإذا كان الاعتماد على الذات من أبرز ملامح المجتمع المدني الحديث فإن أهل افريقية وسكان البلاد التونسية يكونون قد ضربوا أروع الأمثلة في تجسيم هذه القيمة من قيم المجتمع المدني عبر العصور :

1 . من خلال ما أقاموه من شبكة واسعة من الأريطة الممتدة على سواحل شمال افريقيا من برقة إلى مضيق جبل طارق ، وقد كانت هذه الریط عبارة عن مراكز حقيقية للدفاع الذاتي وحراسة السواحل من هجمات القراصنة والمغبرين دون انتظار قيام الدولة بهذه المهمة ، الأمر الذي جعل مجهود الشعب هو الأصل ومجهود الدولة مجرد مكمل له ، «تلكأروع قيم المجتمع المدني اليوم .

2 . لقد تبلور الاعتماد على الذات من خلال انتشار شبكة واسعة من الزوايا على الصعيد الداخلي كانت تتولى جمع الصدقات والزكوات وتنفقها في إسداء الكثير من الخدمات التي ما كانت الدولة وقتذاك تعتبرها مما يدخل في اهتماماتها أو ما يعتبر وظيفة من وظائفها بحيث قام المجهود الجماعي من خلال هذه الزوايا مقام الدولة في تقديم الخدمات المدنية الضرورية والحسوية من نشر التعليم والمساعدة عليه ومن إيواء الغرباء وإطعام عابري السبيل وإعانة الفقراء والمساكين وقض المنازعات وخاصة تلك التي تشب بين القبائل والعروش .

ولئن انحرفت هذه الزوايا عن أهدافها وتحوّل الكثير منها : إلى أوكار للشعوذة وخاصة خلال نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين فإن ذلك لا ينفي الدور العظيم الذي قامت به هذه المؤسسات الدينية الاجتماعية في شمال افريقيا عبر العصور الإسلامية ، ولا يكون مبررا لأن يهملها الباحثون ويغضّوا عنها ...

يتبع

المحاولة / المغامرة للإنكشاري علي برغل القرجي الرامية إلى احتلال جزيرة جربة

بحث : الأستاذ محمد بن الأصفر
- المحامي -

لا تتطابق النظم الإدارية في الولايات العثمانية بالضرورة ومن ذلك أن ولاية الجزائر العثمانية تتركب خلافا لما هو في تونس أو في طرابلس من ثلاث بياك ودابلوك واحد وهي على التوالي بياي الغرب [ب وهران] ، وبياي الشرق [قسنطينة] وبياي التيسرى [بالمدينة] ... أما الداي فهو في مدينة الجزائر ، باعتبار أن الدايات يحكمون في إطار حكومة الكونتوناتو [1] وهو الحكم في حدود مدينة واحدة وضواحيها ...

يمتاز البايليك في الأوجاق الجزائرية بالتنظيم الهرمي الأدنى ، فإذا كانت قمة الهرم خاصة بالباي ، فإن الوزراء أو أعيان الموظفين الذين يساعدونه ، هم على التوالي وحسب الترتيب التنازلي ، الخزانجي وأغا العرب وجوجة الخيل و وكيل المخرج بباب الجهاد و وكيل بيت مال المسلمين [2] إلخ ...

وخلافا لما هو عليه الأمر في تونس فإن خلافة البايات لبعضهم بعضا لم تكن وراثية بين أفراد نفس العائلة ، وإنما كان البايات في الجزائر يشبهون دايات تونس ، فإذا كان الداي في تونس يعين في إطار الديوان من بين الأغوات خاصة فإن بايات الجزائر يترقون إلى هذه المخططة من المخططة التي أدنى منها فالخزانجي هو الذي يصيح بايا أي باشا أو أمير والأغا هو الذي يصيح خزانجيا والخب ... [2]

وكان علي برغل يشغل خطة خزندار ، وقد رقا صالح باي وصبره وكيلا للحرج ... وكان لعللي برغل دور كبير على مستوى أعلى دوائر القرار فهو مثلا قد حرص على أن تؤول الباشوية لحسن وكيل المخرج عند وفاة محمد باشا حسب العادة ،

محاولاً بذلك منع علي آغا العرب . المعروف بالقهواجي من مخالفة العادة الجاري بها العمل . ذلك أن هذا الآغا كان يريد أن يحل هو محل الباشا (2) وقد برز علي برغل كذلك بالحماس في عمله وهو ما جلب له أحيانا (2)

بعض المتاعب ومن ذلك قصته مع قبطان البحر الحاج محمد فلقد حدث أن نقض الباي حسن باشا الهدنة بينه وبين دولة السويد كما أمر قنصل أمريكا بدفع ماعليه من المغارم خلال أجل قدره عشرين يوما ، فان لم يدفع ماعليه فان الباشا يأخذ ما وجد في المراكب التي في البحر ... ثم أوصى القبطان الحاج محمد بأخذ ما يوجد بالمراكب في الأجل أي بعد مضي واحد وعشرون يوما على تاريخ الانذار الصادر عن الباشا .. كان علي برغل طلب القبطان مخالفة أمر الباشا فظن القبطان أن علي برغل وهو وكيل المخرج يتكلم بمراد الباشا ففعل بما قاله علي برغل ... (2) فنقذ الانذار على الأجانب قبل أجل 21 يوما .

اغتاض الباشا لصنيع كل من القبطان الحاج محمد ووكيل المخرج علي برغل وقد قرر إيقاع عقاب بالقبطان لكنه كان قد غادر البلاد . فرجع باللائمة على وكيل المخرج علي برغل الذي أقر بالذنب بين يدي الباشا وبأنه هو صاحب المبادرة . (2) وقد كان عقاب الباشا لعلي برغل أن يقع نفيه في بر الترك (2) .. وقد غجا من الموت لأن الأمير قرر قتيلا بعد قتله لكن السفينة التي كان على ظهرها قد ابتعدت عن اليابسة ولم تتفطن للإشارات التي أرسلت لها للعودة ... (2)

ولم يكن علي برغل في أول أمره سي . الذكر بل على العكس فانه قد عاد إلى الجزائر عودة الأبطال المجاهدين الصالحين على اثر أخذه لغنائم لا تحصى وكان ذلك اليوم مشهودا امتلأت فيه أهادي الغزاة بالمال والأغراض (2) وعلي برغل هو مثل الكثير من الانكشاريين من أصل جرجاني (3) أي قرجي من تركيا إلى طرابلس

قد تكون شهرة علي برغل كبطل في الجهاد البحري قد سبقته إلى اسطنبول حيث نال رفعة هناك .

ثم غادر برغل تركيا في اتجاه ولاية طرابلس ، فأصبح منذ ذلك التاريخ شخصية مخالفة لما كان عرف به إذ سيوظف مواهبه وقدراته للنفس الأمارة بالسوء . فلقد وضع علي برغل مخططا شيطانيا للتسلط على ولاية طرابلس ذلك أن

الباب العالي كان في ذلك العهد يريد أن يحد من طابع الاستقلالية النسبية التي جعلتها طرابلس لنفسها إزاء « أي إزاء الباب العالي » ، حيث الكاتب نجم الدين غالب الكيب [4] ولما وافقه الباب العالي على حملته تلك وأخذ بمساعدة أخيه ميشيل آغا نائب أمير آل الأسطول العثماني في الجزائر بجمعان المرتزقة من مختلف البلاد من بين العاطلين عن العمل والمتعطشين للنهب والسلب ... وكوّن أسطولاً من ثمانية سفن وانطلق من مينا . مودوي نحو طرابلس [4]

حلّ علي برغل بطرابلس ونزل « قوبوجي باشا » «نبابة عنه على الساحل وإلى جانبه 400 عسكري مدججين بالسلح وتلى علنا المرسوم السلطاني ثم وضعوا العلم التركي في القلعة عوضاً عن علم الأسرة القره ما نليه المحاكمة في طرابلس [4] منذ سنة 1711 م [4]

ولم تكن أوضاع باشا طرابلس الداخلية وخاصة منها حالة الاختلاف مع ابنه تسمح له بالتصدي لعلّي برغل فغادر المدينة ليلة 31 جويلية 1793 صحية عدد كبير من حاشيته ووزرائه [4] وبذلك أصبح علي برغل سيداً على طرابلس وبشكل مطلق [4] وقد أباح لنفسه نهب سببات العائلة المالكة حليهن وجواهرهن ثم أوفدهن إلى تونس على متن مركب قُرنيّ صحية 150 شخص آخرين دون تزويدهن بالمؤونة ولا بالذخائر [4] معرضاً إياهن للجوع والموت .

ويبدو أن مطامع علي برغل لم تكن محدوده بحدود ولاية طرابلس وإنما قد كانت له نية احتلال ولاية تونس العثمانية انطلاقاً من جزيرة جربة .

مطامع علي برغل في تونس انطلاقاً من جزيرة جربة

تجدر ملاحظة ، أنه ما ان بلغ إلى مسامع باي الجزائر حسن باشا أن مساعده السابق علي برغل قد استقل بولاية طرابلس حتى بعث لباي تونس طالباً منه أن يتحرك إلى طرابلس ليعيّن واليها . [21] فهو قد رأى أن غزو طرابلس يهدد أمن تونس وقد كان من مصلحة باي تونس أن يقوم بذلك ، لأن علي برغل ، وبعد أن استتب له أمر طرابلس تحدّث مع رجاله في مسألة الاستيلاء على مملكة تونس ووزّع نواحيها عليهم وأعدا قارة محمد التركي بالولاية على جربة [5] وقد جهز من أجل ذلك ألف مقاتل من جند الترك في سبعة مراكب حلّوا يوم 30 سبتمبر 1794

م / 1209 هـ قرب برج أغبر من مرسى الرملة وفيما كان قاره محمد ورجاله ينهبون الجزيرة ويسلبون خيرات مكانها من المسلمين واليهود ، أمكن لعاملها حميدة بن قاسم بن عياد الفرار على متن زورق إلى صفاقس حيث لقيه عاملها محمود بن بكار الجلولي الذي أبلغ الخبر للباي (5)

وقد كانت تونس وجهة أسرة القرملي على عهد حمودة باشا (5) (1782 م 1814 م) ... فلقد حل أبو الحسن علي بن محمد باشا بن أحمد باشا القرملي في شهر أوت 1773 م / 1007 هـ

وغير صحيح ما ذكره الكاتب اللببي نجم الدين غالب الكيب من أن حمودة باشا قد اكتفى في أول الأمر بمراقبة الأحداث في طرابلس دون أن يقوم من جانبه بأي شيء ، إيجابي (4) ... ذلك أن علي برغل كان قد تحصل بالفعل على فرمان من السلطان العثماني يوليه على طرابلس خاصة وأنه سينفق من ماله الخاص على هذه الحملة ، وهي تلك الأموال التي خرج بها من الجزائر كسا مر بيانه (4) والدليل أن علي ذلك أن السلطان العثماني قد غضب على كل من ولايتي طرابلس وتونس ، (5) ولم يكن يحرك حمودة باشا ضد برغل لأن هذا الأخير قد تعدى على تراب ولايته يوم احتل جزيرة جربة بواسطة عامله قاره محمد تركي ، والدليل أن الاجتماع الأول المنعقد في القرض بمسجد الباشا (5) ولم يقع اتفاق على رأي ولا سبب لعدم الحسم سوى الاعتقاد في أن السلطان العثماني من وراء كل أعمال علي برغل ، وهو ما حدا بالوزير يوسف صاحب الطابع أن يؤكد مقالته على هذه النقطة بالذات في اليوم الموالي موضحا ، ملحا خاصة على أن « ... كان توقفنا على انجاء علي باشا قرملي لما أتى لتونس إنما هو الأدب مع السلطنة العلية » (5) مواصلا قوله « على ما يدعيه علي برغل من القرماني غير محقق عندنا لأننا لم نره ، ولا سمعنا بخبره من يوثق به » ، (5) ثم مرر فكرة أن يكون علي برغل مجرّد مغامر متوجها لحمودة باشا بقوله : « ... ويحتمل أنه ثائر » (5) ...

فاقتنع الباي بوجهة نظر يوسف صاحب الطابع ولم يعترض شيخ الاسلام محمد بن حسين ببرم الذي استفتاه الباي في الموضوع باعتباره أن ذلك من اختصاص الجند

والسياسيين لأن أهل العلم لن يصنعوا غير تعطيل هذه الحرب باعتبارها حرب بين المسلمين وبيعة السلطان منعقدة بأعناق حكام ولاية تونس (5)

وبعد ذلك جهز حمودة باشا المحلة وكان يريد أن يكون أميراً عليها فأثناء عن ذلك يوسف صاحب الطابع ، ومن بعده كل أعيان الدولة ... فكان الوزير مصطفى خوجه أميراً للمحلة بصلاحيات تضاهي صلاحيات الباي نفسه « بشارات باي مطلق التصرف » (5)

وعلى كل حال فإن المحلة لم تبارح العاصمة إلا يوم 2 نوفمبر 1794 م / 1029 هـ (5) أي بعد شهر ويومين من حلول برغل بجرية يوم 30 سبتمبر 1974 (5) ولو أن محلة زواوة بقيادة أميرها أبوالمحسن علي اللوح باش حانية كانت قد خرجت منذ يوم 17 أكتوبر 1794 م / 1909 هـ ومعها ابن باشا طرابلس ، يوسف بن علي قرمنلي (5)

وقد شاركت في محلة الوزير مصطفى خوجه كل التشكيلات العسكرية وشبه العسكرية تقريبا من عسكر الترك والمدافع والحازمة والمزربية وفرسان من عروش الأعراض (5) وذلك إلى جانب النواحي الاستعمارية من صناع الباي والنويه وشاوش السلام (5) بحيث إن الوزير مصطفى خوجه قد تلقى حقيقة بشارات باي مطلق التصرف (5) .. وقد حملت الأقوات (أي المواد الغذائية) والعلفه والالات على عشرة آلاف بعير في أكثر من سفرة واحدة (5) وذلك فضلا عن الذخائر التي أرسلها الباي انطلاقا من كل من صفاقس وقابس عبر البحر (5)

وواضح أن حمودة باشا قد أكثر فك حصار علي برغل على طرابلس وأعطاه أولوية على استرجاع جريه التي لم يتحرك الاسطول المخصص لتحريرها من ميناء حلق الوادي إلا يوم 8 نوفمبر 1794 م / 1029 هـ وكان بقيادة الحاج علي الجزيري (5) وكان الأسطول مكونا من أربعين مركبا (5) ومعه أربعة آلاف مقاتل من أبطال الجند انتخبهم الباي بنفسه (5) وكان يوم واحد كافيا لإزالة قاعدية عساكر عامل علي برغل بجرية لقائدها قارة محمد تركي حيث وقع تأسير أربعمائة من جنوده قام حمودة باشا فيما بعد بتثنيهم في ديوان الجند وتبهم من ترقى وأصبح دايا (5) أما قارة محمد تركي فقد فرّ هاربا إلى ساحل الجزيرة القبلية اثر انهزامه

وركب مراكبه وفرّ إلى طرابلس (5)

أما في طرابلس فإن الحرب قد كانت على مراحل لاتفصل بينها أيام عديدة
المرحلة الأولى: بقي الوزير مصطفى خوجه في انتظار أن تلتحق به أهل المنشية
لظنه أنهم أنصار أحمد قرمنلي فلم يقدم منهم أحد وبعد ثلاثة أيام (16 من 19
جانفي) عبأ قواتا من جند الترك والمخازينة ووجع الكاف وقبيلة المشالي
والمدافع وهاجمهم إلى أن استولى على حصون المنشية (5)

وهذا عنصر مباغت لبس لحمودة باشا ، بل وأيضا لعائلة القرمنلي لأن سكان
المنشية تقريبا القبائل المخزية بالنسبة لحكام ولاية طرابلس أي القبائل المعفاة من
الأدوات لقاء توفيرها العساكر والفرسان للسلطة المركزية ، والمنشية تقع في الجهة
الجنوبية لمدينة طرابلس (4) على مستوى سور المدينة وأبراجها (4)

المرحلة الثانية: لم يقع فتح بابي المدينة (باب المنشية وباب ناحية الميناء) (5)
إلا بعد تبادل القتال حيث دافع أهلها بما في قلاعها من المدافع وقد أوقعوا بالعسكر
التونسي هزيمة معتبرة حيث مات الكثير من عناصره .. فعبا مصطفى خوجه العسكر
لمواصلة القتال وقد عمد أهل طرابلس إلى البقاء بالأسوار طالين الأمان (5) ولم
يفتحوا بابي المدينة معلنين خسر فرار علي برغل (5) وهو خير قد بلغ مسامع
مصطفى خوجه في الليلة الماضية وعلقوا فتح أبواب المدينة على شرط حضور الوزير
مصطفى خوجه بنفسه فأتاهم وطلبوا منه الأمان وعدم نهب المدينة من طرف عساكره
ففعل ودخل الوزير مصطفى خوجه ومعه أحمد ويوسف لبني الباشا علي قرمنلي ونزل
بقصر الاماره وجمع العلماء وأعيان الجند الذين بايعوا أحمد قرمنلي على أن يكون
أخوه يوسف قرمنلي ما يشبه صلاحيات باي الأمحال عندنا فهو باي العربان والمكلف
بالخروج بالأمحال (5)

وخلافنا لما ذكره المؤرخ ابن أبي الضياف فإن وجهة علي برغل بعد الفرار لم
تكن الحجاز (5) ، وإنما الاسكندرية (مصر) التي وصلها على متن مراكب
وكان جمع معه الأموال والذخائر وغلماين جميلين من أولاد الأعيان شبه رهاثن «
(6) يبدو أنه قد كان محل حفاوة هناك لأن مراد بيك استقبله كضيف وأنزله في
قصر بالجيزة على ما ذكره عبد الرحمان الجبوتي صاحب عجائب الآثار في التراجم

وإن هذا الحزم الذي أظهرته تونس تجاه علي برغل لا يستحق أن يقابل بما يوحى بالخذلان من طرف حمودة باشا كما تشم رائحة ذلك من أقوال الكاتب الليبي نجم الدين غالب الكيب الذي يذكر في موضع آخر أن حمودة باشا قد جند ثلاثين ألف رجل لحساب حملة طرابلس [4] بينما رأينا أنه لم يجند إلا أربعة ألف رجل لحساب حملة حربة [5] ... وإن حزم عساكر حمودة باشا هو الذي جعلهم يحتلون في ليلة واحدة كلا من المنشية والساحل وتاجورا. [4] ...

ولم يكتف مصطفى خوجه وعساكره باعادة الشرعية إلى عائلة القرمطلي على ولاية طرابلس ، وإنما قد برهتوا على سلوك حضاري ، بنذر مشيله ، فلقد ثبت أنهم لم ينهبوا الأموال والأمتعة ، ولم يستبيحوا الحرمات وإنما قاموا بدورهم الأمني على أكمل وجه ... والأغرب من ذلك أن الوزير مصطفى خوجه من قبل هدية الأعيان الطرابلسيين وهي مائة ألف محبوب [أي بجملة من الذهب الخالص]

قد موها له عن طوعية جزاء سلوكه الحضاري لم يستأثر بها لخاصة نفسه وإنما أضاف عليها قيمة تماثلها ووزعها على الجنود المشاركين في الحملة [4] ... إنه سلوك تونسي أصيل ، وعاداة استثنائية ، وشاذ يحفظ ولا يقاس عليه سلوك أبناء تونس

الإحالات :

- 1 . توفيق بشروش : جمهورية الغابات في تونس (1591 . 1675) مجموعة أيام الناس . مطبعة أوربيس . تونس . 1992 ص 74
- 2 . أحمد توفيق المدني (تحقيق) : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار - نقيب أشرف الجزائر . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر . طبعة 2 . 1980 حصص 50 و 51 و 62 و 71 و 23
- 3 . الدكتور رشاد الإمام : سياسةحمودة باشا (1782 . 1814) منشورات الجامعة التونسية تونس 1980 ص 370
- 4 . نجم الدين غالب الكيب : فصول في التاريخ الليبي . الدار العربية للكتاب . تونس / ليبيا 1982 . الصفحات من 61 إلى 77
- 5 . أحمد بن أبي الضياف : المحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان . الدار التونسية للنشر . الجزء 3 تحقيق : الدكتور أحمد الطويلي . تونس 1990 الصفحات من 29 إلى 38
- 6 . دكتور رافت عيسى الشيخ : في تاريخ العرب الحديث وجهاد الأندلسيين . دار الثقافة

ثنائية المرأة والزيتونة :

محاولة في دراسة أسس المجتمع الفلاحي بأقصى الجنوب التونسي : حالة جبال دمر

بقلم : محمد بالراشد

تقديم :

تطمح هذه الدراسة إلى الوقوف عند الأسس التي ترتكز عليها الفلاحة في مجتمع كان إلى فترة قريبة رعيًا : ومن ثمة فهو يفتقر إلى تقاليد العمل الفلاحي التي تتميز بها بعض جهات البلاد مثل الوطن القبلي أو حتى بعض الجماعات التي عرفت الإستقرار وخدمة الأرض منذ فترة طويلة كأهالي مطماطة أو غمراسن أو الدويرات .

1 - مجال الدراسة :

مجال الدراسة : جبال دمر : الجزء الشرقي لجبال مطماطة وتحديدًا منطقة الحوايا (معتمدية بني خدّاش حاليًا) . ولعلّ السمة الرئيسية لهذا الفضاء : هي ارتفاع الجبال والذي يبلغ في بعض الحالات 700 مترا مثلما هو شأن جبل "مزنن" المطل على قصر بني خدّاش من الشمال . وقد وصف بيار أندريه لويس هذا الفضاء بكونه « منطقة تسود بها الجبال » (1) .

وتكثر بهذه الجبال المنابع المائية وأهمها عين تانوت والحسيان وتاوغلان والحلّوف ومقر ، وهذه السلسلة الجبلية مصدر مياه الوهاد المتواجدة بالمنطقة ، وكذلك تمثل موردا هاما للحلفاء (2) .

وتظلّ السمة البارزة لهذه المنطقة ، هي عدم انتظام الأمطار ، حتى وإن اعتبرت هذه المنطقة الجبلية ممطرة نسبيا مقارنة مثلا بالطاهر ؛ إلا أن ذلك لا يحجب عنا تفاوت تهاطل الأمطار بين فصول السنة الواحدة من ناحية وبين السنين من ناحية أخرى . ويمكن هنا أن نورد جدولا يبيّن تفاوت معدلات تساقط الأمطار بهذا الفضاء الجبلي على مدى سبع وسبعين سنة ؛ وذلك من خلال محطتين هما معتمدية

بني خدّاش (المركز الإداري) وقصر الحلوّف (غرب المعتمدية) .

توزيع الأمطار (مم)				المحطة
الأدنى	الآقصى	المتوسط	عدد السنوات	
59.1	720.0	216.0	77	بني خدّاش
43.9	600.4	135.2	77	قصر الحلوّف

المصدر

لقد تحوّل هذا المجال الجبلي ، نتيجة عدّة عوامل منها :

* إجراءات الفرنسيين لحثّ الأهالي على الإستقرار وفي مقدّمتها حثّهم على التملك والغراسة وتشبيد الفساق والمواجل (3) .

* إجراءات الدّولة الوطنيّة لتدعيم استقرار المواطن التّونسي في أرضه وبالتالي الحدّ من التّرحال (4) .

* انتشار التّعليم .

* إكتساح وسائل الإعلام ووسائل النّقل لكلّ المجالات .

* الهجرة .

لقد تحوّل إذا هذا المجال نتيجة إلى هذه العوامل - وأخرى - إلى منطقة فلاحية حيث تمّ التوجّه إلى خدمة الأرض وإستغلال كلّ الإمكانيّات المتاحة .

كما أدّى هذا التوجّه إلى تراجع الرعي إلى الظّاهر من ناحية ؛ وإلى ظهور غراسات عديدة ومختلفة من ناحية أخرى ويكفي أن يقوم المرء بجولة بين جبال دمر؛ وفي الجسور التي أقامها الأهالي ، ليرى الخوخ والعنب والمشمش والتّفاح إلى جانب التّين والزّيتون .

ولعلّ المثير للإنتباه في هذا الحضمّ هو بروز ثنائيّة ما فتئت تتدعّم أكثر فأكثر ونعني بها ثنائيّة المرأة والزيتونة .

2- ثنائيّة المرأة والزيتونة :

1 - المرأة بين المجالين الدّاخلي والخارجي :

إذا سمحت لنا الملاحظة بالمشاركة : الوقوف تحوّل الرّعي في فضاء الظّاهر إلى حرفة رجاليّة ، فإنّها في مقابل ذلك سمحت لنا بالوقوف عند الدّور المهمّ الذي تقوم به المرأة في خدمة الأرض في المنطقة مجال الدّراسة ..

فقوافل النّسوة وهنّ متوجّهات لجمع الزّياتين أو للحصاد ... إلخ . تكشف لنا بوضوح أهميّة هذا الدّور كما تبعث على التّساؤل عن أسباب اتّساع دور المرأة وهي التي تتولّى أيضا المسؤوليّة العائليّة . أو هي صارت تجمع بين مسؤوليتين : مسؤوليّة داخل المنزل وأخرى خارجة . تشمل الأولى توفير حاجيّات أفراد العائلة (الغذاء ، الأغطية والملابس الصوفيّة ، الإشراف على تربية الأبناء خصوصا في حالة غياب الزوج بسبب الهجرة أو الوفاة) وتشمل الثّانية جمع المحاصيل الفلاحيّة، رعي الشّويّهات ومساعدة بقيّة النّسوة من الجيران في أعمالهنّ كلّما دعت الحاجة إلى ذلك .

يدفعنا هذا التحوّل في طبيعة الأدوار التي صارت المرأة بجبال دمر تضطلع بها إلى التّساؤل عن عوامل هذا التحوّل . وفي واقع الأمر : لا تعدّ مشاركة المرأة في جبال دمر في الأنشطة الفلاحيّة أمرا مشيّرًا للقراءة : فهذه المرأة هي وريثة المرأة البدويّة التي كانت تشارك الرّجل أنشطته الرّعويّة والرّجال على مدى السّنة ؛ فهي بذلك لم تكن سجيّة البيت كما لم تعرف الحجاب مقل المرأة الحضريّة (5) .

وهكذا يكون النّشاط الفلاحي للمرأة إمتدادا للدّور والنّشاط اللّذين كانت تقوم بهما في فترات ما قبل الإستقرار ؛ وهو ما يسمّح لنا بالقول بتنوع من الإستعداد النفسي عند المرأة بجبال دمر لتولّي مهامّ عديدة إلى جانب الأنشطة المنزليّة اليوميّة.

لكنّ هذا الاستعداد النفسي لتولّي مسؤوليّات أخرى - إلى جانب المسؤوليّات المنزليّة - ما كان ليتحوّل إلى واقع عمليّ أو بالأحرى ما كان يترجم إلى ممارسة يوميّة لولا توفّر مجموعة من العوامل الموضوعيّة التي يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

*** الهجرة :**

عرف سكّان جبل دمر المعروفون بالحوايا الهجرة الموسميّة مع سنة 1901 حيث اتّجهوا إلى جربة وقابس والحامّة ثمّ توسّعت لتصل تونس وصفاقس ومجاز الباب

والحمّامات . وقد توطدت هجرة بعضهم في سنة 1936 (6) . وقد كانت هذه الهجرة في بداياتها رجالية أو ذكورية حيث لم تظهر هجرة العائلات إلا في وقت متأخر مع فترة الأربعينات وبداية الخمسينات (7) . وهكذا وجدت المرأة نفسها أمام فراغ تركته هجرة الرجل ، فقد صارت المرأة مطالبة بالعناية بالشوّهات وبالأطفال ويخدمه الأرض خصوصا بعد تراجع العائلة المتمدّنة لصالح العائلة لنواة .

*** المدرسة :**

لقد دعمت المدرسة موقع المرأة في جبال دمر وذلك بسبب إنصراف الرجال إلى العمل في قطاعات كالبناء أو الوظيفة أو الهجرة وانصراف الصبية إلى المدرسة . وهو ما جعل المرأة تساهم . من خلال قيامها بعدد الأنشطة . في تحسين أوضاع العائلة المادية ؛ في مناخ شبه جاف ؛ وكذلك في تحمّل مسؤوليات لعل أهمّها على الإطلاق تأجير الرجال للقيام ببعض الأعمال الفلاحية التي لا تقدر على القيام بها بنفسها أو بمساعدة أبنائها . وفي ذات الوقت صارت تدفع أجر الراعي ؛ أي أنّها تزجّر الرجال . وبذلك صرنا أمام مكانة جديدة ومحورية للمرأة التي كثيرا ما انتظرت العطل المدرسية لإعجاز بعض الأعمال الفلاحية في الأماكن البعيدة عن المسكن . وبذلك وفّر صبية المدارس يدا عاملة مدعّمة للمرأة وغير منافسة لها . عندئذ أمكن لنا القول إنّ خدمة الأرض في جبال دمر . وبسبب هجرة الرجال وبسبب تفكك العائلة المتمدّنة ومن خلالها تفتت الملكية المشتركة وبسبب إنصراف الصغار للدراسة صارت من مهام المرأة اليومية تماما مثل شؤون المنزل ولذلك عندما نقرأ على بطاقة هوية امرأة من نساء جبال دمر أنّ مهنتها هي شؤون المنزل ندرك للوهلة الأولى أنّ ذلك هو نصف الحقيقة وأنّ هذه المرأة وفي سلسلة جبال مطماطة عامة . لا تقتصر مهامها على شؤون البيت وإنّما تشمل كذلك العمل الفلاحي ؛ لذلك ستشكّل المرأة القطب الأوّل للعمل الفلاحي في هذه المنطقة الجبلية . فيما ستجد الزيتونة القطب الثاني .

2- الزيتونة من تحدّي فرعون إلى ضمانات الله :

دأب أهل جبال دمر من الحوايا . كلّما توجّهوا إلى أمر إلى إعطائه مشروعية من خلال الحكم والأمثال الشعبية . وفي هذا السياق تندرج رؤيتهم للزيتونة؛ فهم

مثلا لم يُلجؤوا إلى القرآن لتبرير أهمية الزيتون (8) وإنما عمدوا إلى بناء مشروعية محلية من خلال أسطورتين لازالتا تتردّدان باستمرار على ألسنة الحوايا . تتعلّق الأسطورة بصنف من أشجار الزيتون يعمّر بين الصّخور في أعالي الجبال ويطلق عليه الأهالي تسمية "الزّبور" وميزة هذا الصّنف من الزّياتين أنّه يعيش بين الصّخور ولكنّه دائم الإخضرار وقليل التّأثّر بالجفاف حتّى وإن لم يثمر . والملفت للإنتباه هو أنّ الحوايا يبرّزون تواجده في أعالي الجبال بالقول أنّ فرعون (وهو رمز القوة والتّحدّي) هو الذي غرس تلك الأشجار قائلاً لها " فرعني أو إنشاء الله لا فرعنني " فكان أن استجابت هذه الزّياتين للنداء " وفرعنّت " فنمت بين الصّخور وفي أعالي الجبال وفي مناخ شبه جاف . ومن خلال هذه الأسطورة نكتشف وعيا بأهمية الزيتون في هذا الفضاء الجبلي ؛ وعيا خاصّة بقدرتها على مقاومة الجفاف (9) . وعلى هذا الأساس صارت الزيتون رمزا لمقاومة الجفاف ولوعورة المكان .

أمّا الأسطورة الثّانية : فتقول أنّ شجرة الزيتون ظلّت معلقة بين السّماء والأرض لمدة أربعين سنة كاملة ، رافضة الهبوط إلى الأرض خوفا من الأضرار التي قد يلحقها بها الإنسان سواء بصغة مباشرة أو غيبيّة أي عبر الإحتطاب أو من خلال الحيوانات وخاصة منها الماعز . وبنهاية العام الأربعين هبطت شجرة الزيتون إلى الأرض بوعد من الله بأن يلحق ضررا بكلّ من يلحق ضررا بشجرة الزيتون « أهبطي ولي إضرك انضر » والمتأمّل في الأسطورتين يقف عند جملة من الملاحظات التي نحصلها في النّقاط الآتية :

* الزيتون قادرة على تحمّل الجفاف وعلى الحياة بين الصّخور وهو ما تعجز عنه بقية الأشجار ؛ بما فيها تلك الأشجار القادرة على تحمّل الجفاف والتي هي غير قادرة على تحمّل الصّخور والجبال .

* برغم قدرتها على تحمّل الجفاف والجبال الواعرة فإنّ الزيتون تحتاج إلى حماية الإنسان لها من أضرار الحيوانات .

* للإبتعاد عن هذا الضّرر ، لا بدّ أن تظلّ الزيتون بمنأى عن الحيوان ، ولذلك أسّس الحوايا لعملية الفصل بين المجالين ، مجال الشّجرة ومجال القطيع فاكسحت الأشجار المنطقة الجبلية ، وظلّ الظّاهر مرعى للقطيع ؛ وصار الفضاء الأوّل خاضعا

لنشاطات المرأة وصار الثاني فضاء . رجالياً . الزيتون ظَلَّتْ معلقة 40 سنة كاملة بين السماء والأرض؛ وهذه المدة الزمنية هي سن النبوة وهي بالتالي مقدسة عند المسلمين : لكن لماذا بحث الحوايا عن هذه المشروعبة الدينية بعيدا عن النص القرآني .

تحيلنا هذه المسألة إلى أهمية الأسطورة في المخيال الجماعي القبلي بأقصى الجنوب الشرقي التونسي وقدرة الأسطورة على احتواء مختلف مجالات حياة الإنسان ، الدينية والأخلاقية والقيمية . وإن كانت هذه المسألة في حاجة إلى مزيد التعمق والتحليل وهو ما لا يسمح به المجال هنا .

* وقد جاء انتشار الزيتون في منطقة جبال دمر على حساب شجرة طبعت حياة الحوايا ، عندما كانوا لا يستقرون إلا لمدة وجيزة . عادة ما تكون فصل الصيف . بالمنطقة الجبلية . وهذه الشجرة هي التين والمسامة عندهم بالكرمة .

ومبرر انتشار الزيتون في هذا الفضاء الجبلي نجده لا في قدرة هذا النوع من الأشجار على تحمل الجفاف فقط . وإنما أيضا في الأغراض العديدة التي يستخدم فيها زيت الزيتون : فهو مادة غذائية ودواء للأمراض الحسنة والأذن . كما أن بقايا الزيتون بعد عصره تستعمل كعلف للحيوان ، تحاملا مثل أوراق شجر الزيتون التي تسقط على الأرض بعد أن تصفر فيتم جمعها كعلف للماشية . وتسمى هذه الأوراق بأقصى الجنوب التونسي عامة بالصريع .

كل هذه العوامل مجتمعة ساهمت في توجيه الحوايا بغراسة الزيتون والبحث عن أساطير لتشييعه وتدعيمه . وقد يسعفنا هذا الجدول بتبيين هذا التوجه .

جدول خاص بالأشجار المثمرة ببني خدّاش 1997

النوع	العدد	المساحة / هكت
الزيتون	219.740	1.987
التين	111.200	1.112
اللوز	58.695	385
التفاح	53.300	533
الحوخ	29.700	297
الكروم	26.592	96
الفسطق	11.760	168

المصدر : الإدارة الفرعية للفلاحة ببني خدّاش .

ويسمح لنا هذا الجدول بأبداً ملاحظتين هما :

* أعداد الزياتين تقريبا ضعف أعداد التين وثلاثة أضعاف أعداد اللوز .

- المساحة المخصصة للزياتين تكاد تكون معادلة لجملة المساحات الأخرى دون

المساحة المخصصة للوز .

بعض النقاط الهامة :

- نهاية الترحال واستقرار الرجل وتحولهم إلى فلاحين ، في منطقة متاخمة للصحراء ،

كانت مؤشرا على تحولات مهمة بأقصى الجنوب التونسي : فقد تفككت العائلة

المتدعة ، وحلت محلها العائلة النوّة ، وغطت الملكية الخاصة على فضاء كانت

الحيازة الجماعية للأرض هي المهيمنة .

- لقد أفرزت هذه التحولات بروز فاعل اجتماعي جديد هو المرأة .

- لقد استدعى هذا الموقع الجديد من المرأة أن تصمد أمام هجرة الرجال (10) تماما

مثلما استدعى الموقع الجغرافي من الزيتون الصمود أمام الجفاف .

- الحديث عن الفلاحة بجهال دسر ، يبدو خاليا من المعنى إذا لم يركز على قطبي

العمل الفلاحي ونعني بذلك المرأة والزيتونة . وتظل العلاقة بينهما في انتظار المطر

لتكتمل الصّابة وتقع الحصونة : فكما تنتظر المرأة الرجل للعود من الهجرة ، تنتظر

كذلك المطر لتثمر الزياتين . وكما تنتظر الزيتون المطر ، تنتظر الرجل ليمكّن المرأة

من بعض المال حتى تتمكن من إصلاح الطواهي : بعد أن صار العمل الفلاحي

خاضعا للأجر النقدي شأنه في ذلك شأن أي عمل آخر ، وخصوصا بعد أن غزا الجواكر

ومن خلاله الآلة كلّ مجالات حياة سكان المنطقة فضاء الدراسة .

الإحالات :

2 - نصر التميمي : صورة العادات الاحتفالية لدى الشباب التلمذي (العرس التقليدي ببني

خدّاش نموذجاً) : رسالتهتم الدروس الجامعية لنيل شهادة الأستاذية في تشييط الشباب ، المعهد

العالي للتشييط الشبابي والثقافي تونس 1995 ، ص 49 .

4 - الهبيب بورقيبة : حديث الجمعة : ج 1 : نشر أحمد الرقيبي : مطبعة العمل : تونس 1957

ص 158 .

5 - انظر أمّنة بن ميلاد : نحو قراءة جديدة للتاريخ النساء المغاربيات ، بدويّات القرون الوسطى :

- ترجم عن الفرنسية باقتراح من عواطف القطيطي : البينة الإفريقية الطبعة العربية عدد 2
1994 : صص 53 . 58 .
- 7 - محمد نجيب بوطالت : هجرة العمل من قبيلة ورغمة إلى مدينة تونس (1881 . 1950)
ضمن كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي : المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون :
بيت الحكمة : تونس 1999 : ص 425 .
- 8 - جا . في الآية الأولى من سورة التين « والتين والزيتون » .
- 9 - نجد شيها لهذه الرؤية لدى أهالي مطاطة الذين يغرسون الزيتون إلى جانب التخيل ويردّون
" البرّ اللّي ما فيه زيتونة وإلا نخلة إطول وإلا إقصّر بخلّي " .
- 10 - هذه الظاهرة ليست خاصّة بسكان جبال دمر . بل كان لها صدى في المجتمع التونسي
عامّة . أمام الفراغ الذي نجم عن هجرة الرجال . أنظر مثلا :

بقية ما في ص: 38

- 13 | 1 | 22 | محمود شيخ روحه « أنا المرء حديث بعده ... » مجلة حقائق عدد 431 من
14 إلى 20 جانفي 1994
- 16 | صلاح الدين الجويني . النشرة التربوية للتعليم الابتدائي . ملحق عدد 6 / 01 / 1984
ص 30
- 20 | أبو القاسم العليوي . « في أربعينية محمود الشيبان » . النشرة التربوية للتعليم
الابتدائي . ملحق عدد 6 . جانفي 1984 ص 27
- 21 | محفوظ شوشان . النشرة التربوية للتعليم الابتدائي . ملحق عدد 6 . جانفي 1984
ص 13 .

بقية ما في ص: 77

- .. تذكر أين وضعتها 1
- والابن يرمق أباه صامتا وشفتاه تنفجران تشقيا وأنامله تجسّ ما يجيوه من
حلولى ومكسرات ..

* انظر أقصوصة « نصف دينار » بمجموعتي الأولى : « زغاريد ودموع » .

في ذكراه السادسة عشرة

محمود الشبعان : رجل تربية وأدب واجتهاد

بقلم لطفي بن عمر جمعة

مرت خلال يوم 3 نوفمبر من سنة 1999 الذكرى السادسة عشر لوفاة المربي الفاضل محمود الشبعان الذي ناضل منذ فجر الإستقلال لشركيز النظام التربوي وتعميم التعليم بجهات نائية . والذي اضطلع بمسؤوليات عدة في ميدان البحث التربوي والانتاج البيداغوجي والعمل الصحفي ، وأسهم في العديد من المنظمات والهيئات داخل البلاد وخارجها وأثرى المكتبة المدرسية والتربية والدينية بمنشوراته وتأليفه . كان دائم البحث والتنقيب في ميادين عدة . ومشارا على العمل والبذل إلى أن توفي في 3 نوفمبر 1983 وسنحاول بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لواته التعرّض إلى بعض ملامح من حياته ونشاطه التربوي والفكري تحية أكبار وتقدير لهذا المربي الفاضل والمفكر المجتهد

مولده ونشأته

ولد محمود الشبعان سنة 1928 بطليلة من ولاية المنستير في أسرة متواضعة تمتهن فلاحا الأرض أبا عن جد .. وكان الصغير مثال الاستقامة في السلوك فقد عرف بانضباطه منذ الصغر وعدم تعديه بأية حال الطرق المسلوكة والمعروفة في الدين والأخلاق والمعاملات .. غرس فيه الشغف بالمعرفة والتطلع إلى الأفق الواسع والحنين الدائم إلى المجهول وقد عرفه كل من اتصل به بذكائه الحاد رامتيازه على أقرانه بالمدرسة (1) .

دراسته ونشاطه

بدأ محمود الشبعان حياته الدراسية كغيره من أقرانه في تلك الفترة بالدخول إلى الكتاب ثم إلى المدرسة الابتدائية بطليلة سنة 1936 والمعهد الصادقي بتونس سنة 1942 ومدرسة ترشيب المعلمين بتونس سنة 1945 وجامعة « سوزرن »

بكاليفرنيا سنة 1957 ودار المعلمين العليا سنة 1962 . لقد كان محمود الشبعان مثالا للتلميذ والطالب الممتاز والناجح بشهادة أساتذته ومنهم المرحوم القاضي الجمالي حيث يقول « قدمت تونس للتدريس في الجامعة التونسية سنة 1962 وكان رحمه الله من أوائل طلابي الممتازين كنت أقرأ أوراق الإمتحان النهائي وهي تأتينا بأرقام سرية لا تحمل اسم الطالب فمررت بتلاوة ورقة ممتازة نالت مني درجة عالية تعرفت على صاحبها وإذا به الأستاذ محمود الشبعان » [2] . ومن بين الشهادات العلمية التي تحصل عليها : البروفي العربي وشهادة ختم التريض للمعلمين ودبلوم جامعة « سوزن » كاليفرنيا ،مقبول في مناظرة المتفكرين الجهويين وشهادة الدراسات العليا في علم النفس التربوي .

وقد تقلد المرحوم محمد الشبعان العديد من المسؤوليات وكان من مؤسسي بعض المجلات والجمعيات والجامعات . فعمل معلما بالأرياف التونسية ومدير مدرسة ابتدائية ومتفقد التعليم الابتدائي ومتفقد جهوي للتعليم الابتدائي ومدير تريض بترشيح المعلمين ومسؤول عن مكتب البحوث البيداغوجية ورئيس تحرير مجلة « النشرة التربوية » ومدير عام للتعاظدية التونسية للتعليم العصري . وقد أسس مجلة « الرياض » ومجلة « المدرسة المفتوحة » ودار العلماء للنشر والتوزيع . وكان من مؤسسي ودادية المتفكرين والجامعة الولية لحركات المدرسة العصرية وحركة المدرسة العصرية بتونس وعضو مؤسس لجمعية أحياء « فريني » كما كان عضوا بالهيئة الاستشارية للمغرب العربي في التربية والتعليم والجامعة الافريقية لمنظمات التعليم العصري .

شخصيته وخصاله

لمعرفة بعض جوانب من شخصية المرحوم محمود الشبعان اعتمدنا شهادة بعض من عرفوه وعاشروه منذ أن كان تلميذا ثم معلما ثم طالبا بالجامعة التونسية ثم متفقد للتعليم الابتدائي ومما جاء في حديث الأستاذ محمد فرج الشاذلي عن اليوم الذي تعرف فيه لأول مرة عن المرحوم محمود الشبعان سنة 1945 بمدرسة ترشيح المعلمين ببطحاء الخليل بتونس . لقد « لفت نظرنا هذا الشاب الذي بدا لنا من أول وهلة وكأنه خارج عن الألف والعادة .. ومرت الأيام .. فاذا بهذا الوجه الشاب

الغريب الذي أثار فضولنا بيدي للجميع أنه ليس لين العريكة ولا سهل المراس ! ولقد كان صافي الذهن واضح الرؤية معتدا بنفسه مجتهدا في عمله متحديا للصعاب مصرا على وجهة نظره ... لا يعرف الكلل ولا الملل محرجا من معه من زملائه وأساتذته ثائرا على الأوضاع المألوفة والطرق المعبدة ... [3] . ومما جاء على لسان أستاذه المرحوم فاضل الجمالي لما كان طالبا بدار المعلمين العليا بتونس « ان الأستاذ محمود رحمه الله عرف بالجد والحماس وحب الاطلاع على الجديد في التربية انه كان نشيطا غيورا معطاء يحمل رسالة الحب والإخلاص لأمنته وللجيل الجديد » [4] . ومن ربطته بالمرحوم علاقة عمل السيد عامر اسماعيل الذي يقول « أجده صافي الذهن واضح الرؤية معتدا بنفسه ، جريئا ، شجاعا ، مصرا ، داعيا إلى تكسير القيود تواقا إلى الخروج عما ألفه الناس سواء ، فيما كان يقوم به من عمل تربوي أو في أسلوب تحليله لما يدور في المدرسة والمجتمع مما دفعه إلى اختيار التحدي مبدأ في مواجهة الصعاب وشق المسالك الوعرة الشائكة والنضال قيمة لتغيير الأوضاع وتطويرها » [5] . ومن عاشر المرحوم محمد الشبعان وعمل معه في المحفل التربوي السيد علي سليمان والذي يقول في تعليقه على بطاقة بعث بها المرحوم اليه مرفوقة بنسخة من كتابه « أين من القرآن تراجم القرآن » أهداها اليه « أنها [البطاقة] من مظاهر الأنفة وعزة النفس [6] التي عرف بهما المرحوم .

آثاره

لقد أثرى محمود الشبعان المكتبة التونسية التربوية والدينية بمنشورات وتآليف عديدة فاقت الخمسين كتابا في ميادين شتى : في التربية عموما وفي أساليب التعلم وتآليف مدرسية وكتب للأطفال وأخرى دينية والتي منها :

- المدرسة العصرية . صحة الطفل [معرب من أليزبريني] - التراتيب المدرسية - في الصوم والزكاة - الحج والعمرة والزيارة خطوة خطوة - أين من القرآن تراجم القرآن ؟ - سلسلة العبادات ميسرة : تعال ، تطهر ، وصل - سلسلة : السيرة ميسرة : البيت الحرام - وانك لعلی خلق عظیم - في سبيل الحق - ان مع العسر يسرا - المستضعفون العظماء - سلسلة : كفاح الانسان - الانسان قبل التاريخ - غنغان الطفل البربري - سلسلة العلوم مبسطة : - تعلم واعمل

- سلسلة من وحي الخيال : - درغوم - حمرحراء - مؤلفات لم تنشر : - جوامع الكلام
- كتاب الله مفتوح - ترجمة الصلاة الفرنسية - ميزات المدرسة العصرية - حول صحة
الطفل - في أحكام الطهارة والصلاة - في الحج والعمرة والزيارة والأضحية والنذر
والبمين - على التحجر والتشيع مع الفقهاء

محمود الشبعان المربي

انخرط المرحوم في سلك التربية والتعليم فعمل معلما ومدير مدرسة ابتدائية
ومتفقدًا للتعليم الابتدائي ثم متفقدًا جهويًا حيث « ناضل في فجر الاستقلال
لتركيز النظام التربوي وتعميم التعليم بجهات نائية ثم اضطلع بمسؤوليات أهم في
ميدان البحث التربوي والانتاج البيداغوجي فكان من بين الذين جددوا الكتاب
المدرسي وبعثوا النشرة التربوية وأثروا المكتبة المدرسية » (7) .

فلسفته التربوية

« ان فلسفة التربية التي كان يدعوا اليها المرحوم هي فلسفة بناء وتجديد
وانفتاح لا فلسفة نفس وهدم وانغلاق انه لا يتعصب لمذهب معين أو مدرسة معينة
انه يقول عن نفسه « لم تكن مرتبطين بأي مذهب من المذاهب سوى الحرص على
النجاعة والتعلق الشديد بالمثل القومية والانسانية التي تريد أن تتكفل المدرسة
بتدعيمها وتبليغها » (8) . ومن ذلك كان يدرك أتم الإدراك أن « التكوين »
لا يعطى بل يكتسب ولا يكون ذلك إلا من خلال المشاركة والنشاط إذ هما المقومان
الأساسيان للتربية بهما يرتقي الانسان إلى الاستقلالية الفكرية والترشيد الذاتي
ويبتعد عن الاستهلاك المجاني والتواكل المضر ويصبح مسؤولا وينشأ على حب
العمل وقيم الخير والجمال وتتمكن منه روح التسامح والاعتدال فتصبح فضائل لا بد
منها ليقبل على غده برصانة العارف وحكمة العاقل » (9) .

التجديد في التربية

كان المرحوم محمود الشبعان يسعى دائما إلى التجديد في شتى الميادين
وخاصة في التربية ولا يكتفي بالتنظير ولكنه يسعى جاهدا إلى التطبيق العملي دون
ملل ولا تردد من أجل تطوير العمل التربوي فمارس الطرق العصرية وشجع المربين
على تطبيقها ونشرها فكان حسب شهادة من عرفه من زملائه « يمتلئ حيوية

وحركية لا ينفك عن البحث والتنقيب عن الجديد والتجديد في كل الميادين وخاصة هوية الدرس والمطالعة والكتابة في كل ميدان طريف وخصوصا ما يتصل بالتربية والتعليم « [10] . فقد « أسهم إلى حد بعيد في تطوير النظريات التربوية اذ كانت هذه الأخيرة تتفق مع الأساليب التربوية التي ناضل من أجل نشرها روحا ومحتوى ومقاربة » [11] .

المدرسة العصرية

لقد تأثر المرحوم محمود الشبعان بطريقة « المدرسة العصرية » طريقة « سبيلستان فريني » منذ أن كان طالبا بمدرسة ترشيح المعلمين وخاصة في السنين الأولى للتدريس فتعلقت همته بالبحث والعمق في طريقة « فريني » وتعرف على صاحبها وعلى مسيرته وتجاربه في ميدان التربية والتعليم واطلع على كتاباته وكتابات زوجته حول الطفل وخصائصه وتربيته وشارك في بعض ترميزات المدرسة العصرية وتعرف على عديد الشبان الذين يلتفون حول فريني ويتبعون خطاه ويساعدونه في تجاربه ويجهدون معه في تحسين جدوى الطريقة وأساليبها ، يبتكرون تحت قيادته وإرشاده . وأصبح المرحوم محمود الشبعان يشارك بانتظام في ترميزات « المدرسة العصرية » « مدرسة » فريني « وتدواتها التي تلتزم مرتين أو أكثر في السنة بمناسبة العطلة المدرسية في جهات مختلفة من فرنسا وخارج فرنسا للتعرف على ما يجد من تجارب وابتكارات في الأساليب والوسائل والأدوات وكذلك للتعريف بالمدرسة العصرية في صفوف رجال التعليم وكسب أنصار لها بينهم وقد أصبح المرحوم محمود الشبعان عضوا نشيطا في المدرسة العصرية « [12] ، بل يعتبر رائد المدرسة العصرية بتونس وما جعله يعتبر كذلك هو « أنه استعمل المدرسة العصرية » في التعليم باللغة العربية وهو أمر كان يحتاج إلى عظيم جهد وقوة إرادة ... وهو ما يستحق أن يكتب له بماء الذهب » [13] .

المدرسة المفتوحة

بعث محمود الشبعان مجلة خاصة سماها « المدرسة المفتوحة » كان يدعو فيها إلى إدخال روح جديدة في أساليب التعليم « [14] . وشاركه في تحريرها ثلة من المربين آمنوا بالمدرسة العصرية آنذاك وتجديد الطرق ووسائل التعليم منهم : محمد

هائلة وعبد الله بدر العين ومحمد الصالح كريم وعبد الرحمان المقراني والظاهر صفر وعلي سليمان وعبد الرزاق البدوي والهادي قلالة وغيرهم ... وقد جعلت هذه المجلة « سلاحا لمقاومة كل أصناف الركون المستكين والتقليد الأعشى ومنبر لمناقشة وميلورة العديد من الآراء والقضايا والمذاهب والطرق التربوية التي ظهرت في العالم وفي تونس . وأداة لإثارة المربين للإطلاع برأيهم في شتى جوانب إصلاح التعليم ... ورابطة لجمع صفوف المتحمسين للتجديد وإيجاد قنوات اتصال بينهم وشد أزورهم لفرض الإصلاح » [15] وقد تواصل صدور هذه المجلة ثلاث سنوات [سبتمبر 1972 إلى 1974] .

محمود الشبعان الأديب

انطلاقا من إيمانه بأن المكتبة المدرسية تعد من أفضل الوسائل لتنمية ميل الأطفال إلى القراءة . فقد كتب المرحوم محمود الشبعان للأطفال وأثرى المكتبة المدرسية بكتب المطالعة للأطفال « . وكان في كل ذلك مجددا عاملا على تكوين الفكر الدقيق والتعبير الأثيق بارزا في إثراء المكتبة المدرسية بما أضفاه عليها من الحصب والنماء » [16] . وبما ألفه للأطفال سلسلة من وحي الخيال وسلسلة كفاف الإنسان .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

محمود الشبعان المفكر والمجتهد

لم يقتصر نشاط محمود الشبعان على الميدان التربوي بل « عمل على صقل القيم الذكية في ميدان الفقه والعبادات وفي ميدان تطهير العقيدة من الشوائب وجعل المفاهيم التي كانت تبدو حكرا على القلة المفقهة تصل إلى فهم كل راغب في المعرفة » [17] . فكانت تجربة تجديدية أخرى إذ أنها « دعوة إلى الإجتهد وندا لإمعان العقل والتبصر لإبعاد ما علق بالأذهان من الأوهام والبدع ونقد لتراجم القرآن » [18] . وذلك من خلال ما كتب في آخر سني حياته من كتب « تعتبر من المراجع الهامة ولها وزنها في الدراسات الفقهية على مذهب الامام مالك والدراسات القرآنية » [19] وهي على التوالي : الموسوعة الفقهية « الجامع الميسر » و « أين من القرآن تراجم القرآن ؟ » وكتاب « على التحجر والتميع ومع الفقهاء » وبذلك « واصل المرحوم اجتهد الدعاة الهداة المربين الرادة والمفكرين

القادة الذين أنجبته تربة هذا الوطن العزيز « 1 20 ١ .

لقد كان المرحوم محمود الشبعان نبعا لا يجف من العلم والمعرفة « أفنى العمر كله في العمل الرائد والبحث والتجديد فارتفع بالفكر التربوي التونسي إلى سما » المحاضرة الإنسانية « (21) . كما أن « مظاهر التحديث التي تتكثف بها المدرسة التونسية اليوم في برامجها وفي طرقها وأساليبها إنما يرجع الفضل فيها بدون منازع إلى الدفع الكبير الذي قدمه محمود الشبعان منذ حوالي أربعة عقود ونصف « (22) . فلا غرابة أن نرى في المستقبل القريب . وهو أبسط وجوه الإعتراف له بالجميل . اسمه يطلق على أحد الشوارع أو المؤسسات التربوية في مسقط رأسه أو في القرى والمدن التي عمل فيها . أو على بعض التظاهرات المحلية والوطنية والجوائز ونحوها .

الهوامش

- (1) [19] قاسم قاسم « محمود الشبعان المربي والدارس » - جريدة الصباح 27 أكتوبر 1984
- (2) [4] [8] [14] فاضل الجمالي . « محمود الشبعان : فكر ثاقب ... ونقد لاذع »
- النشرة التربوية للتعليم الابتدائي ، ملحق عدد 6 ، جانفي 1984 ، ص 8 . 9
- (3) محمد فرج الشاذلي . الكلمة التي ألقاها في أرمينية المرحوم محمود الشبعان بصفته وزير التربية القومية . النشرة التربوية للتعليم الابتدائي . ملحق عدد 6 . جانفي 1984 ص 20
- (5) [9] [11] عامر اسماعيل . « ثورة تربوية ونزعة تطويرية مستقبلية » . الذكرى العاشرة لوفاة محمود الشبعان . ودادة متفقدتي التعليم الابتدائي بالجمهورية التونسية . دار الثقافة ابن خلدون 18 ديسمبر 1993 . ص 15 . 17 . 27
- (6) [15] [18] علي سليمان . « محمود الشبعان والتجديد التربوي » . الذكرى العاشرة لوفاة محمود الشبعان . ودادة متفقدتي التعليم الابتدائي بالجمهورية التونسية . دار الثقافة ابن خلدون 18 ديسمبر 1993 . ص 39 . 54 . 59
- (7) محمد صالح العباري . كلمة ألقاها يوم تأبين المرحوم محمود الشبعان . النشرة التربوية للتعليم الابتدائي . ملحق عدد 6 . جانفي 1984 ص 11
- (10) [12] [17] محمد بن عمارة . مداخله ألقاها بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة المرحوم محمود الشبعان (1928 - 1983) . الذكرى العاشرة لوفاة محمود الشبعان . ودادة متفقدتي التعليم الابتدائي بالجمهورية التونسية . دار الثقافة ابن خلدون 18 ديسمبر 1993 . ص 64 . 72 . 65

حوار مع الشاعر:



ركن الدين يونس

أجراه :

مازن المعموري

إنَّ أيَّ حديث عن الشعر العراقي ومتغيراته ، ينسحب بالنتيجة نحو منطقة أثارت الكثير من الاشكاليات والتقاطعات الثقافية وفي مرحلة مهمة في جسد الثقافة العالمية والعربية وبشكل خاص العراق ، هذه المرحلة هي الثمانيات ، وعندما نقول ذلك فإننا نشير بالضرورة إلى واقع الحرب وتصدي العراقيين للعدوان بكلِّ الوسائل العسكرية والثقافية وكان الشعر العراقي شوكة في عيون الامبريالية العالمية والتي توجت المعارك بانتظار العراق قيادة وشعباً .
ومن هذا المنطلق كان لقاءنا بالشاعر ركن الدين يونس في محاولة للكشف عن مجمل الآراء والانجازات التي حققها هذا الجليل وما زال .

س 1 / وأنت ترى مجموعتك الأولى وقد خرجت إلى النور . ماذا تريد أن تعلن من خلالها وبأي اتجاه تسير ؟

قبل الاجابة على سؤالك ، لابد من قراءة مغايرة له . حتى لا تكون الاجابة مقيدة بسياق السؤال . أي لابد من صياغة جديدة له تنسجم وطبيعة فهمنا للكتابة وعلاقتها بظاهرة النشر المرافقة لها . ومدى تماسنا مع الأسئلة التي نطرحها كل يوم على أنفسنا حول جدوى الحدث الكتابي . وما ينطوي عليه هذا المفهوم بالنسبة لنا . نحن مدعوا الحداثة والمغايرة . فالسؤال رغم ما يظهره يبني على نفي المنجز ويقرنه بحدث من خارجه [الطباعة] أو ما أسميه اعتقال مجموعة من النصوص ضمن

عنونة ملفقة تسمى بعد حين . أي بعد طباعتها [مجموعة / كتاب] وبلي ذلك تحديدها تاريخيا بالوصف [أولى] وهذا باعتقادي مبنى على خطأ شائع . فالإنجاز الحقيقي لأي كاتب أو شاعر هو في حجم الصمت الذي يولده فعل الكتابة في الذات أي ما ينعكس عليها وفيها . وهو حجم الانقضاء . لأي صيغة [مكتسبة] قد لا تكون منسجمة مع مانفكر به ونحلم لأجله . سواء كان ورودها متأت من الحياة أو من قراء اتنا العشوائية الأولى [غير المنهجية] لأن كل فعل كتابة هو بالأصل فعل قرأني . إذن أنا أكتب كي أمحو كل المفاهيم التي فرضت على طريقتي لتلقي النصوص بالاكراه . وهو نفس السبب الذي دعاني للقراءة لأول مرة حين كنت أطمح لتفحص الوجود والأشياء بذهنية من صنعي . ذهنتي أنا . تعلمت من قراء اتني . أن الشعرية في اللعشة الأولى التي يقابلها فيما بعد الصمت . وعلى الورقة البيضاء . وما بين الأسطر . فلماذا هذا النفي المتعمد لفضاء مهم مواز للسواد والمؤثت بالكلام ؟

استنساخ . ليست إذن مجموعتي الأولى كما أوجي بذلك سؤالك . وليست الأخيرة وهي لا تشبر إلا إلى نفسها . بكونها عملاً مقيداً بفلاقيين . أما ماذا أريد منها أو ماذا أريد أن أعلن من خلالها . فهذا مرهون بفعل الكتابة ذاتها . ماذا نريد منها ؟

س 2 / ماهي فلسفتك الشعرية التي طرحتها في [استنساخ] ؟

أنحفظ على مفردة [شعرية] لما تحمله من دلالة . كانت على الدوام تحيل المتلقي إلى قراءة النصوص بعيون السلف دون تمثل خطورة الفضاء المفتوح الممتد ما بين التراث المكتوب وندا . هوامشه المقموعة . وهو استبطان لموقف سابق بين الكلمة واللغة والتاريخ . وهنا تكمن أزمة القراءة التي انعكست في أشد حالاتها على النقد العربي [إذا ما كان الحديث عن المتلقى المتخصص المعنى] وعلى المتلقي العربي بشكل عام . الذي بدأ من هذه النقطة بالتخلي عن النص الحديث والتمسك بنصوص كتبت منذ مئات السنين واستنساخها بشكل فج لا يوازها ولا يتقاطع معها والعملية كلها اجترار يشير الغمام حول إمكانية قراءتها [النصوص القديمة]

بشكل يوضح المنجز ويجعله سلماً للتطور الطبيعي لهذا الفن العربي الأصيل .
والذي تميزت به أمة العرب عن غيرها . نحن بحاجة لقراءة الموروث بشروطنا لأننا
فيما أسلفنا لم نلفظنا إلى استحواذ السلف على طرق قراءتنا التي تتقاطع مع
طبيعة ما نسميه (الكتابة الحديثة) وهنا كانت أزمة الكتابة بكل ما تنطوي عليه
هذه الصيغة من مداخلات وأسئلة لسنا بصدد الإجابة عنها لأنها معروفة لكل
المشتغلين بهذا المجال ، وفيما يخص (المتن الذي حصرته بين غلطين بعنوان []
استنساخ) الذي أخرجه للنور أخيراً . أردت أن أقول أن الكتابة إعلان عن وجود
لنا هضة العدم . فحين أدرك السيد (كلكامش) أن إبادة العدم غاية لا تدرك .
وتحقيق الخلود متعلق لا بظال ، أمر أن تحفر سيرته على الألواح . فجاءت الكتابة
لتقف بوجه العدم . وما نحن نستنسخ الشيمة الأوروبية مع كل نص نكتبه
بمعاودتنا التجربة . حتى بات الاستنساخ (وهو صورة مكبرة للتناص) كما أرى
ذلك (صفة من صفات كتاباتنا وقدر مفروض على كل من يفجر إمكانات اللغة .
من الواضح جداً إن أردت الإعلان عنه . إنما يمارس من خلال فعل الكتابة في ظل
آليات نشر تعتمد الاستنساخ كوسيلة . حتى ثقافة الآخر أثرت أن تصلنا مستنسخة
برغم ما في تلك الطريقة من مخاطر . فهي قد تتزاح بالمتلقي إلى قراءة مشوهة
دون أن يلفظ لذلك . وهو ما يحصل مع قراءتنا للموروث . كما ترى إجابتي على
سؤالك مستنسخة . من إجابات أخرى . قد لا تمت لي بصلة لكنني معني بها . على
كل حال . الكتابة في أفضل حالاتها كولاج واستنساخ .

س 3 / انت من شعراء الجيل الثمانيني ، هل تستطيع أن تبرز لنا مكونات هذا
الجيل ؟

لا وجود لما يسمى بالأجيال . إلا في إجراءات النقاد لأغراض دراسية ،
فبعضهم أثر حصر مجموعة من الشعراء ضمن عصر معين لغرض تفحص محددة
فجاءت تسميات مثل / العصر الجاهلي / أو شعراء العصر العباسي . وبعضهم قرن
دراسته للأدب بتسمية المدارس . فكان الأدب السريالي والأدب الواقعي وهكذا .
وفي العراق شاعت فكرة حصر الشعراء والأدباء بتسمية جيل وهي لا تخضع

لقاعدة معينة وباعتقادي أيضا لا تنطبق على أي جيل مسمى كونها غير مستندة إلى أساس موضوعي خارج الاجراء . ومن هنا أقول .. إن الابداع تواصل وامتداد ومغايرة وتبقى خصوصية النشأة والبيئة من أهم الخصوصيات التي تدعم فكرة المغايرة والا فلا وجود لأدب ما لولا الدهشة الأولى بالأدب السابق له . بشكل أوضح لا وجود لنا نحن الذين [أسميتهم أنت الثمانيين] لولا قرائتنا لنصوص الشعراء الذين سبقونا مثل الشاعر حميد سعيد وسامي مهدي ومحمود درويش وخزعل الماجدي وبورخس وسان جان بيرس . وكل الشعراء الذين ادهشنا نتاجاتهم وفجرت فينا الرغبة بالاختلاف عنهم وجعلتنا نتمسك بهذه الجمرة ونستنسخ تجاربنا منالجمع بين تجاربهم جميعا ليقراً المتلقي في أي نص لاحق نصوص كل الشعراء . لأن كل كتابة هي قراءة لمجموعة من النصوص نتفق معها ونتقاطع مع بعض مقاطعها ولا يفصلها عن نصوصنا إلا خصوصية الخطاب التي تبنى على فكرة [لكل انسان معجبه] وهي مسألة مشروعة وموضوعية . ومكونات أي جيل لا يمكن أن تنفصل عن الموروث لأنها جزء منه وإضافة له . مستندة اليه ومهما تحدث البعض عن القطيعة . فليس هناك قطيعة بالمعنى الذي يطرح . المعنى الذي يلقي دور النصوص السابقة . لا توجد قطيعة . لأن أي نص يكتبه [*] من الشعراء . إنما هو استنساخ لنصوص الذين سبقوه ولكن بما تلميه التجربة الشخصية والنشأة والبيئة . هناك دائما خيط يوصلنا بمن سبقونا وعلينا أن نعترف لهم بما سبقونا اليه ، فلولا خطواتهم الواثقة ما كانت لخطواتنا أن تكون ! الفارق المهم أننا أردنا الافلات من شروط القصيدة التي هي نسخة غير معدلة للشروط التي وضعها اجدادنا قبل اكثر من ألف عام لكتابة نص ما ومازال البعض متمسكا بها . رغم إدراكه عدم جدواها لعدم تطابق الواقعين القديم والحديث على كل المستويات . وهذا لا يشمل كل الذين سبقونا فنعمهم متقادنا إلى قضاءات ما كنا لنحلم بها لولاه . ومنهم من أدهشنا خطابه !

س 4 / ماهي علاقة جيلكم بالشاعر جان دمو ؟ وما هو مدى تأثيره عليك كشاعر ؟
الحق أنني لا أجد أي علاقة بمن اصطلحت على تسميتهم [جيلكم] بالشاعر

جان دمو وإذا كان قصدك من السؤال أثر نصوص جان دمو علينا فأني أجد سؤالك غير دقيق . إذ أن جان دمو على مستوى النشر لا يمتلك نصا شائعا كما هو حال الشعراء الكبار الذين ذكرت . ورغم ما عرف عنه كشاعر إلا أن حضوره مترجما كان أقوى . وحتى حين جمع بعض شعره من قبل دار [أمد] في بداية التسعينات في مجموعة [أسمال] كانت علاقة الشعراء بتلك المجموعة علاقة تعاطف لا أكثر فنصه برأيي لم يتجاوز الممكن . (ورغم هذا الرأي يبدو للبعض تعسفيا) يمكن أن يكون نصه واحد من النصوص الداخلة في المتن العراقي . أما فيما يخصني على اعتباري كنت مرافقا لفترة طويلة لهذا الشاعر فلا بد أنني تعلمت منه الكثير كما تعلمت من غيره وهذا وارد جدا . تعلمت منه أن الشعر سلوك أولا . وتعلمت منه أيضا أن الشاعر يجب أن يكون كذلك حتى في طريقة فتحه باب منزله لضيوفه في مشيئته . وحفاظه على مظهره رغم ضيق ذات اليد التي عانى منها الشاعر . تعلمت أيضا منه أن الصمت فن بذاته وأن الإشارة أبلغ من الكتابة في الإجابة والاستجابة وأخذت عنه طموحه بأن يصل إلى النص الإنمائي . ويبدو لي أن تلك أسباب مهمة جعلته مقلّا في نشر نصوصه .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

س 5 / ماذا بقي من الجيل الثمانيني ؟

بقي النص الثمانيني المتميز ، بصعوبة نشره وصعوبة تقبله من البعض إلا أن مرحلة الثمانينات كانت أكثر جدية في تداول النصوص المنتجة وأكثر حماسا لتبني الكتابة الجديدة . وضوء حجارة الحماسات لازال مشعا خلال مجلات الأقلام والطلبة الأدبية وأسفار ، لازال هذا النص الغريب ممتدا في اللاحق كما كان متوصلا مع السابق متطورا بارتباطه به . إنه قراءة للسابق مكتوب بخطاب آخر . وهو ما أسببه هنا [الاستنساخ] .

س 6 / هل حقق الجيل الثمانيني رؤية شعرية راسخة في جسد الثقافة العراقية .

وهل هو ظاهرة عالمية فعلا ؟

فترة الثمانينات فترة متميزة ومتوهجة على مستوى العالم . وفي العراق كانت

أكثر تميزاً . لانها من جهة المحلي فجرت أدب الحرب . فكانت كل النصوص التي كتبت آنذاك بمثابة وجع من وجوه المواجهة الحضارية لأن شعب العراق بشكل عام استدعى كل الامكانيات للرد على العدوان فكان من تلك الامكانيات الكتابة التي اعطتها صفة [المواجهة] قوة جعلتها غير قابلة للتراجع كونها مثلت صوت التحدي العراقي بكل معانيه محملاً بعقب العمق الحضاري للخطاب . حيث استحضر النص آنذاك كل مبدع موروث بالشكل الذي يتناسب وحجم الرد . وعلى مستوى العالم كان الفن والأدب الثمانيني ظاهرة حقيقية . فقد قرأنا عن أدب ثمانيني فرنسي وأدب ثمانيني في الاتحاد السوفيتي السابق وأدب ثمانيني في أميركا اللاتينية وفي كل مكان . وهو متماثل في قوته مع الأدب العراقي . متماثل في قوته مع الأدب العراقي . متماثل مع ما طرحه من طرق وأساليب وقراءات . وباعتقادي هذا التماثل مشأت من شيوخ المناهج النقدية الحديثة وترجمتها إلى كل اللغات حيث وصلت للجميع في نفس الفترة . أما أدبنا العراقي فقد تميز لنفس الأسباب . وللأسباب التي أسلفت فكان بحق ادب مواجهة لانه محمل بقضيتين قضية الرد الحضاري المتقدم على المعتدي وقضية التحديث التي حرص أدباؤنا على عدم تنحيتها جانبا وبذلك ارتدئ الجمال العراقي حلة جديدة خلافا لكل ما كتب في العالم من أدب الحروب الذي أهمل الجوانب الابداعية عند البعض لأسباب معروفة . ولم يعد مهما مراجعته وباعتقادي كل ما كنت في فترة الثمانينات يمكن أن بدون تحت يافطة أدب الحرب لأنه كان محملاً بالهم العراقي في الرد مستعينا بكافة الصيغ والوسائل لدرء الخطر المتمثل بالوجه العدمي الذي أوحى به العدو فكان النص الثمانيني نص الحياة ضد العدمية واللامنطق واللامعقول .

س 7 / ورغم أنك من الشعراء المهتمين في هذا الجيل إلا أنك مازلت حذرا من الضوء ؟

الحق أن الامر غير متعلق بي بقدر ماهو مرهون بالنص الذي أصر على كتابته خلافا لزملائي . أي أنني مازلت متناغما مع ما طرح من تنظيرات خلال فترة الثمانينات حول الكتابة وأدواتها وأهميتها المغايرة . كيف يكون في حين تخلق عن هذا النهج أغلب المتحمسين له آنذاك . والقلّة الباقية على الطريق لازالوا يعملون

بنفس الجدية والحماسة برغم الاقصاء الذين يتعرضون له بسبب إصرارهم على هذا النوع من الكتابة .

إن من سمات الكتابة الحديثة (النص) القلق الكتابي الذي يجعل الكاتب متنفلا من تجربة إلى أخرى بين نص وآخر وفي أحبان كثيرة داخل نص واحد . وهذا بالضبط ما جعل النقاد يعتقدون بأن النص الحديث لا يمتلك ملامح ثابتة على العكس من الأجيال السابقة التي أنتجت ذات سمات واضحة وملموسة ويمكن تأشيرها كونها متطابقة مع الشروط التي وردت مصاحبة للقصة الموروثة . وهي لا تحتاج إلى جهد قرآني . لأنها لا تحمل فضاءات تأويلية بخلاف النص الذي يتعكر على حمله لأوجه عديدة للتأويل غير أن فرصة نشر النتائج المغايرة (الكتابي) غير متوفرة لعدم توفر مجلات لاحتواء مثل تلك النصوص . أضف إلى كل ذلك أن النص الجديد غير مقبول لأن الذاتية محملة بسبع شروط تفحص القصة . الشروط الوافدة مع النص الموروث والتي بها قرأناه وما زالت مرجعا ثابتا يحاول النقاد والقراء والمختصين لوي عتق أي نص من أجل إخضاعه لها بالتفحص والاكتشاف . إن آليات التلقي لا بد أن تتحرر وأن تتكرر لتواكب تطور النص لأن في التمسك بها والاصرار على شروط الأولين تكرار للإقصاء الذي تعرض له نصف موروثنا الأدبي . وتحت وطأة تلك الشروط التي وضعت بالأساس لأسباب معروفة (غير موضوعية) فرضت من خارج السياق الأدبي لتدوين الأدب . ففقت على نصفه الذي لازلنا نتحسر على معرفته ولا بد أنه يحمل شروطه الخاصة . وهو ما يمارس الآن ضد أي نص جديد يكتب خارج التجنيس . أو خارج الشروط الموضوعية للتجنيس . الشروط التي يرفضها أغلب النقاد حين يستعيرون مناهج الحديثة ومع ذلك لا نجدهم يستفيدون من آليات المناهج الحديثة في قراءاتهم للنص العربي الحديث . فلماذا هذه الإزدواجية ؟



برتريه

الأديب البشير التلمودي

رسم : علي بن مصطفى

• إرتحت له منذ أن التقيت به أول مرة ، بل وأحسست بأنني كنت أعرفه طيلة السنوات الطويلة التي مرّت من عمري .

• لطفه يسحرك . كرمه يخجلك .

تواضعه يشرك أحيانا قشور في وجهه قائلا : كفاك تواضعا فالأقزام تعملقوا وأشباه الكتاب ملأوا البلاد وساجاتها . كفاك تواضعا فالقوين خطوا بعض الأحرف التي لا يفهمها صوابهم ، بل تفخؤا أوداجهم ، وراقعوا هاماتهم وتسلقوا سلام . وهمية وتصدروا عروشا خاوية وأمساوا علامات بركة مزرکشة لكنها كاذبة مزيفة على أرض الصدق والجمال .

• هو لا يرفع صوته إلا نادرا .

• حلیم صبور .

• تخاله ملقى على هامش الكون والحياة لكنّه ، أبدا . في صميم الحياة تلاعبه ويلعبها . تهزمه ويهزمها . تؤثر فيه ويفعل فيها فعلة فيترك بصماته على وجهها . لا ينهار اطلاقا ، وإن سقط فلكي يلتقط انفاسه ويستجمع قواه لينهض من جديد ويستمر في السير والمقاومة .

• هو يكتب منذ أكثر من ثلاثين سنة ... ومع ذلك فهو كمن لم يكتب بعد نصّا أعجبه وإرتاح إليه . إنّه في بحث دائم دؤوب عن كلمة مؤثرة ، عن جملة راقية ، عن نصّ مكتمل الصورة والبناء ، عن موضوع بهزّ ويشير ويسعد أو يؤلم .

. ولعلّه لهذا السبب . طرق كلّ الأبواب وجاب كلّ المسالك ...
 كتب للأطفال قصصا ومسرحيات تعلمهم وترفع عنهم وتقودهم إلى طريق الحقّ
 والخير والجمال .
 وكتب لشبّان تجاربه المختلفة التي قد تنير لهم سبيلا وتكشف لهم دربا فيخوضون
 الحياة بهمّة .
 وكتب للعاشقين أجمل سطور في الحبّ والهيّام وفي مكابدة لوعات الغرام .
 وكتب للكهول قصصا قصيرة ولوحات هي في واقع الأمر لقظات حارة نابضة من
 حياة النّاس اليوميّة . سرّها وعلّنها .
 وكتب للناس . كلّ النّاس . مهما اختلفت بهم الأعمار والأجناس والألوان والتجارب
 والمشارب ...
 شذرات فيها حكمة الفلاسفة وحمق المعاتبة فيها روح الله وألسنة الأبالسة ... فيها
 الحياة بخبرها وشرّها . بنبلها وسفالتها . بانتصاراتها وخيباتها وهزائمها
 وانكساراتها .
 وفيها الإنسان بكلّ أحاسيسه ومشاعره وأنفعالاته .
 وكتب في النهاية عن أطفاله وأحفاده وأحفادهم وأحفادهم جميعا إلّا كلمات
 تتمّ عن سماحته وكرم نفسه وسعة صدره وقدرته الفائقة على جعل المقال مناسبا
 دائما للمقام .
 . وهو في كلّ ما كتب ويكتب هادئ رصين . بسيط اللفظ جميل الصّورة .
 لا يميل إلى شاذّ وإلى غريب ...
 هذه بابجاز شديد . بعض ملامح صديق نعتزّ به ونحترمه ونكنّ له كلّ الودّ .

سبات الأغاني !!

بقلم : عبد الحميد شكي

عناية

« إلى الراحل يوسف شاوش * » : هل نصالح الريح إذ نحتشد في بهر الغواية ؟ أم نوغل في اتساع المتاهة التي غربتها الأغاني ؟ وأسكتتنا جنات من عدم ؟ أم سنظل نكتب شدونا على جناح طائر أزمع هجرة صوب الأفاقي البعيدة ؟ أم سنزدد الطعم المر ؟ نغص بالماء ، نعتمر عفاف المرايا ، نفشي سر الورد الطالعة من جزع الروح ، كيما يتسع الوطن ، وتضيق الجلجلة ؟ ؟ »

راوغي الوجه / القفا ،

والنظرات التي في المدى ؟ أنكدت ، ثم إندثرت ،

ثم إنجست ، وتجلت كالدمع الذي إستدار في تدفقه السوي ،

وماتستر خلف سارية الأغاني المدلجات في بضاضتها

الريح التي إستبسلت في معابرها الفجاج ،

الكلمات التي اندحرت ، ثم انحسرت ،

ثم انهمرت ، ثم استترت ، ثم انتشرت ،

ثم إنكسرت في مطلع الآء ؟ !

ولت هلعا إذ باغتها الزهر الارتجاج ،

وتوارت في غبطة التجلي إذ يشطره الغبار ،

آء ! يا زمن المذلة الذي في سؤدد الكلمات تمادى ،

ينتشرني الظل الذي يصاعد من عطش الرماذ ،

أسقط في مطبات اللغة ، حدثا ،

وحنايا من تمر الدمع الذي ترمس بالسهاد ،

وأفضى بي إلى جنة من عدم الوجد ...

غدرتنا وشوشات الأغنيات ،
وبريق الصبايا إذ لاحت في أفق العمر ،
كامتداد إلهو جنات الله المشرعات !!
أحرق ، أم أخفق في ظلك الذي في التباعد استطال ،
قوارير من شراب مصفى ، وقبرات !!
أتسامى في شجن الغواية التي فتنتك في ريق العمر ،
وأسلمتك لبهجتها « حيزة » السيدات !
أغوى الغواية ،
أستشاط الريح بددا ،
وتنكرت لك مصر القديمه !!
ومرايا الريح في قرى « القل » الكافره ؟ !
من يعتق شذى الوردة التي في الهبوب ؟
من يحزم شذى الأغاني التي أسلمتك مقاتيحها ،
وتوارت في شققلا النساء ؟ !
هل تدركني المقامات <http://Archivebeta.Sakhril.com>
وينصرني البكاء ؟
وأنهض من سباتي متوجا بالغناء ،
أم انتظر هجعتك التي سكنت بهجة المعنى الذي في الشغور تعالى !
أهواك ، أهواك ، أيها النازف دمه على ديبب الخطوات ،
من يشفع للوردة إذ بغتتها التوحد ،
يناجزها الاسوداد الذي في العيون الكالحات ؟!
هل أحبك ، إذ أحبك ، فأحبك ، وأحب من مر على ظلل المرايا ،
وأشرع ماء الجهات ؟
هل تبوح بسرها الوردة التي فصدوا دمها ،
وشتتوا ناياتها في جهات لانفي ، إلى جنسها ؟
هل تفهمني السموات التي هنا ، والتي هناك ، والتي في المطلق العدمي ،

والتي تنكرت لمصر إذ هدّها الجراد ، والطير ، والسَّبع العجاف ، والذين يخرجون من
الأحداث منفعلين بالوقت والقارعه ؟ !

هل تفيض بوجودها سيدة التجلي ، إذ تكسرنى الطريق ،
ويعبرني شاطئ النيل إلى جهة في رمل الفلاة ؟
ويعصف بي حزن طاعن إلى دفء ، حب لا تفسره الخطوات
التي سبقتك إلى جنة الله ؟ !

آه ! يشطرنى الشغف الذي أراه على محياك :

مناديل ، أو قناديل ، من وفرة تبدّت كالوضوح ،
من يمسخ هذي الجروح ،

التي انتشرت في ارتطام البراري التي سفحت دمك ،

إذ عبرت إلى مفترق منتصرا بالأغاني والسيات ؟ !

كيما يستقيم الخطر في الدرب الذي غريبه في توتره الشديد ،
أريدت وحدك في حميمات الخيل التي خرجت من دمي ،

وانتصرت للشعر في تحوله الجديد ،

أفردوك ، إذ غريوك ، وشردوك في أقاصي البلاد !

آه ! يا صديقي ؟ !

ضاق بنا الوطن ! واتسع شرخ الزلزاله ؟ !

كنت شاهق الطول ، كالبلوط في تسامقه البهي ،

أنفجعت الأغاني ،

عكرت صفو الذين ، توافدوا ، وتناشدوا ، وتناهبوا ،

وتناكبوا ، وتكالبوا ، وانتشروا كالغشاء !

آه ! يخذلني البكاء !

وتخرج من دمي مصر القديمه !

يوسف ! أيّها الصديق :

هل تذكر جلستنا الأخيره ؟

كنت تغفل شاريك الكثر ،

ترسل نكتتك الأثيره ؟
إذ تقول في غير تزلّف ، أو نفاق :
أبها « القلي » الذي قد من صخر الجبل ،
أكتب الشعر ، وصغ حلو الجمل ،
شبابتك الأغاني الجبليه ،
غلمة النساء « العطويات » إذ بشرقن كالبدر في هجمة للليل البهيم
معين الطفولة البائسه ،
تفزعني العيون النائسه ،
إذ تشرق من خيب الذين يبصقون سوادهم على لوح الكتابة ،
خبثا ، وشموسا كاسفه ؟؟
كنت تسميهم: قطط المواسم ، والولاتم ،
صبيان الأمسيات التي تلمع من تشدقهم ،
إذ يعرِدون في صفو الكتابة والخطاب !!
كيف هويت أبها المجبول من دم الريح والقاصفه ؟ !
آه ! أدركتك القاصفه <http://Archivebeta.Sakhrit.com>
ولمصر في دمك انتصار!!
خانتك ، إذ باعتك لقبائل « الهكسوس » الواقفه ! ؟
بالأمس هاتفتني ،
كنت تجلجل بالجسارة والكلام ،
قلت لي : أما زلت تنأجر الماء ،
ويفضحك الشبق ،
فجأة غبت في ملكوت الله ،
داهمني العرق !
عائيت مصر القديمه ،
وانتصرت للمرايا التي فضحت « زليخا »
واندفعت في سباسبها الكثار ،

من لي بضونك ،
وزهوك الذي يصّاعد من كوتر القلب الكليم ! ؟
إذ تهزمني مصر القديمه ،
ويخذلني الجدار ؟!
من لوثوا بهجة الماء ،
وخوضوا في احمرار دمك الصّاهل ،
حركوا بقطعة الفجر ،
باعوا شعلة الجلنار ،
وانتشروا كالموت في المعابر والشغور ؟
يوسف أيها الصديق :
ترملت « زليخا » التي قدّت قميصك من وهج الذكاء !
خانتنا مصر الجديده ؟!
والإخوة : امتشقوا خناجرهم ،
وتكاثروا على دمي ١٩٤٤ .

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

* كاتب وأستاذ جامعي جزائري مات بسكتة قلبية يوم : 25 . 11 . 1999

توقعات على جرح مزمن

شعر مختار المومني

الإهداء: إلى محمد الدرة وإلى كل شهداء الإنتفاضة.

.. وما غيّرتني السنون

وما جرح النوءُ صدري

وما كسرتني المحن

غير أن القواني قد شردتني خلف تخوم المسافة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عاريا خلّفتني

أرتق أفق السماء البعيدة.

أبتني وطنًا في انتصاف المسافة بين الحضرار الجراح

والهمار القصيدة

أصحو من غربة اليتم في غابة الظل

هل ظلّ متّسع من زمان البكاء؟!

حتّى أقامر بالسيف، والخنيل، والنقط والشعارات

طفل أنا..

أحمل عبء الهزائم.. إرث القبائل وحدي

أصبحو.. فتأخذني الأنباء نحو أروقة للذهول
أدنو إلى أرض سيّحتها الهزائم .. زينتها خيام الاجئين
أصبحو.. ماعاد للقول وعد أو صهيل
فالكل أغرقه الدهول
الكل ينزف في الكلام
يدفن حزنه في ورق الرمال
غاب الذين نحبهم
مروا وعلى الأكتاف شيء من غبار
آه.. لو تنهض ريحهم !؟
تحمي بذور الخصب في الأرض البوار
أو ينهض الفجر من غير جدار
طفل أنا
أشعل ما تبقى من حرائق في الجسد الهزيل
أنشر قلبي شرفة حلم مستحيل
آه.. يا وجهي البريء
كلما أوقدت نورا تقصيه الرياح
كلما يعلو هتافي يخرسه التوايح
طفل أنا.
شرّدتني خطاي نحو خارطة الأسئلة المربكة

طفل أنا.

أحتاج وردة من رماد الفصول فوق جرحي الشحني
علني أرجع للأرض رائحة الخصب
فتزهو النوارس في بحر اصطخائي
آه..

كل الدروب استرايت
كل الأغاني موعودة بالبكاء.
والصمت يزهر في أقصى الشمال وأقصى الجنوب.
الصوت في الخلق حبيس.

وفي الصدر بركان يثور
حَتَام نَحْلَم بِالغَيْثِ الْهَتُونِ
<http://Archivebeta.org>

ونسائل الأقدار في لهف.. أما هل نور الصّباح!
أما أورقت الزغاريد في غابة الحزن القبيح!؟

وبعد صمت البنادق
أما يصنع العرس هذا الحجر!
أما يصنع العرس هذا الحجر!

صفاقس أكتوبر 16-11-2000

رقصة الطوفان

شعر : فلة ميهوب شوشان

صدر خصب تانه
معتوه بين قواميس
العشق يدره
هوج الحرمان
**

قدري ... وقدرتي
وأنا حب طريح
جريح ... جرح الأقحوان
**

وجه غارق ثائر
يدعي السباحة
في عمق النسيان
**

شفاه تسرع
في احتساء والبصمة
الهاربة ترسم
على الفنجان
**

قلب حكمه القدر

قدري ... وأنا
وقدري والبصمة
هاربة من موقد
ظمان
**

قدح موثق
مرغم ، فزع
حيران
**

وصلة ناي تنبعث
من عمق مهتز
ما بين إحساس شاعر
ونبرات فنان
**

يد بريشة وأصابع
ترتعش ما بين ريشة
وناي في هموم الغرام
والهيجان

شدته الأضلع

يحاول الطيران

**

نبض مهزوم

كساة اليأس

قسايره الإنسان

**

عيون سمت على

ركح مسرح

هائم نعان

**

الويل - ويلي ...

والنهار ليلي

والجسد على موائد

الغدران

**

وبقايا ... البقايا

قشة ... ووردة

ومغلة ... وعقد

ياسمين يقاتل الذبول

رغم أنه ذبلان

**

قرطاس وهيكل

قلم ... وقطعة

خشب وبقايا

عظام حيوان

**

الريح تقذفها

من أماكنها إلى ما قد كان

كانها أكر في

قلب الميدان

المياه تطوقها

تلاعبها لعبة

القط والغتران

**

والجسد بينها طريح

غريب يراقصه

الطوفان

**

صمت صارخ

يلعب الورق

ويلاعبه القدر

والزهر يراقص

أنغاماً بلا عنوان

**

موسيقى ... الجاز

تعزف ... تنزف

تنجز أصواتاً هاتفة

هذه هذه

رقصة الطوفان

يحدث المستحيل غدا

شعر : أبو طه عبد القادر مكاريا
موريطانيا

سوف أولد من رحم الأمنيات
كنت دوماً أخط على راحتي وردة
و أقّر أن تتحوّل بيتاً
أدشه بين الربيع و بيني
فلا تتدلى عناقيدّه
و لا يتذوّق طعمه إلا الذين
يمزّون من ضفّة القابعين
إلى ضفّة من يتقاسم غطر القصيد مع الآخرين
و كنت أحقّق ما شئت من هذه المعجزات
لا أظنّ الطفولة تكبر
إلا بقدر الوصول إلى روثق العشق
أو مثبت الكلمات
كنت طفلاً أفتر آي الوقوف
و آي الحروف
أفكر في أن أطيّر إذا بلغت قامتي
ضعف طول الرّصيف
و أقفز حتّى أطول
كنت أركب رجلي و أعدو بعيداً
و يعدو أمامي خطّ الوصول

لا أظنّ السنين التي حملتني
إلى حيث أجلس
كانت تُقدّر ما سأقول
فالثبوة يُجهل ذؤماً مداها
و يجهل أين؟ وكيف ؟
سيُورق وحيّ الرسول ؟!

أيّها الواقفون على جسّتي
أركضوا ...

أركضوا ما استطعتم
و اعبروني إلى ضفة لا جنون بها
لا ذهول ...

كان حلمي إذا اكتملت رحلة المتعبين
أن أكثر بيض النعام
و أفيل منه جبالاً

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تقود إلى مرفأ
يستدلّ به المتعبون

و يرتاح فيه الباحثون عن المتكأ
أيّها الواقفون على جسّتي
خذوني كما الحلم من بعضكم
و اصلبوني على قامة الفجر
حتى يتحوّل الصدا

بعدهما عشتُ بينكم
سوف لن أتوقّع غير الخطأ



أنا آخر الأنبياء

حكمتي: الإنهار

و معجزتي: أن أنبأكم ما تقوقع في أنفسكم
و اختبأ.

يحدث المستحيل غداً

و تموت الرياحين

من شوقها للتبأ

في انتظار الوصول إلى حكمتي

قليلاً من الصمت.



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أبو طه عبد القادر مكاريا

العيون : 24 / 04 / 1997

نوء يغزل الآتي

شعر : أميرة الرويقي



وهذا النوءُ
عراجينُ نورٍ تتدلى من ثقبِ الريح
وذي الرِّيحِ حمالةُ

المدى

الرِّيحُ

مراتيحُ الكرى

قالت السَّمُومُ لاسماعيلَ

مرة :

- تكدسي

يا عظام السَّلسبيلِ فوق البياضِ

هذا قَرَعُ على خَشَبٍ يطفو

كلما اختلست الرُّوحُ

قرقعةَ الأجساد تتهدلُ من غوغاءِ

هي الأنفاسُ

نبات قديم يصطلي مَصْنَعَة

وهذا النوءُ

ما يفتى

يغزلُ

الآتي .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ومضات

شعر : برهان البرزلي الكردي
ترجمة : أنور حسن موسى

(1) جرة من قبلات

على كتف مدينة ،
تروي ظمأ مدينة كاملة
وها أنت ..

أفنيّت عمرك

والجرة ما زالت على كتفك
وعطشانا ما زلت
http://archivebeta.sakhril.com
* * *

(2) أنا راحل

آخذاً معي جعبتي الشعرية
فكلّ أزهار الشعر الشمسية
ستغرب لرحيلي ... !
* * *

نسي حوته في الطريق
ويروم أن يحرّر
مدينة ... !

ذنوب العشق

شعر : محجوبة الجلاصي

كم مرة بحث بحبي
وأنت تتخفي
بين خجل الورد
كم مرة حاصرتك
بنظراتي ...
وارتباكِي أمام وجهك
وأنت تؤجل اعترافك
أتعبتني المسافات
يا أنت ...
تشعلني ...
تطفئني ...
وتعبدني لعذاباتي
من جديد
فكفاك تعاليا
هذه تراتيل عشقي
وحكايات أشواقِي
وبوحي للفراشات
والنَّخيل ...
وكلَّ الوجوه

بأنك بدايات حلمي
فهل ذنبي أنني
أحببتك ؟
* * *
أهواك يا رجلا
قطف لي الضوء
اغتيال سارق أحلامي
والغى مواعيد رجلي
وأهواني القمر
وسبح باسمي
عديد المرات
فكيف تختفي
بالخجل
وتبيع انتظاري
تبًا لشوقي
الذي أضلاني
فهل ذنبي
أنني أحببتك ؟



روحي

محمد المائش التوتسي

الاهداء : الى كل الاصدقاء الشعراء الشبان

الشعر شبابي ..

قُبلة حبي ..

احساسي تعبير عن ذاتي ..

وعن ذوات الآخرين

الشعر دقائق قلبي ..

بقصائدي واشعاري

بكلماتي وابيائي

الشعر عاطفتي

وعالمي السحري

بالحلم في خيالاتي

الشعر حريتي ..

روحي ...

فيه افراحي واحزاني

وابتساماتي ..

انهيار الوهم

شعر : البشير التلمودي

طعموني مذ كنت طفلاً ..
علموني خطأ ..
أن أقمار بلادي .. باهتة الضوء ..
تطمسها سماء رصاصية !
ثم زادوا ..
فزرعوا مساحات جلدي .. عبوات للجن ..
و دسّوا في عروقي حبّات لأفيون الإحباط .
فتقرّص في الفكر ..
و مات في الصوت ..
و شلّت الأصابع و كلّ الأقلام !
أوهمني مذ كنت طفلاً ..
علموني خطأ ..
أنّ الأزهار تفضّل التربة الشرقية ..

و أن الثمار تولد من الأشجار الشرقية ..
و أن الأزهار تنبع من الأمطار الشرقية ..
و أن .. و أن ..
و أن الأصوات الشجية لا توجد إلا في مصر ..
.. تسبح كالأسماك عبر دلتا النيل الشمالية .

* * *

و تساءلت : و نحن ؟
و تذكرت (القريسة) و أزهار (البوقرعون) ...
تذكرت (هندي تالة)
تذكرت مجردة ..
تذكرت (الدوعاجي) .. (علي الرياحي) و (صليحة) ..
و لم أنس الشابي ..
فتذكرت المهزلة ..
و عشت المأساة !

* * *

مذ كنت طفلاً ..
و أنا لا أعرف عن وطني إلا شيئين :
الشابي والعلم الأحمر ..
فأحببت الشابي .. لأنه فتح عيني على
شعبي والعلم الأحمر ..

والآن ...
و قد تخطيت غيبة الأوهام ..
و تغلغل أفيون الهواية في حتى النخاع
مازلت أؤمن كما آمنت منذ سنين ..
بأنّ سماء بلادي ..

.. ليست رصاصية ..
و لا عقيمة ..
أنّها كأيّ سماء أخرى .
تزخر بأكثر من قمر مرمريّ قادر على زرع الضوء ..

فلنتفخ فقط من على صفحة المرأة ذرات الرماد ..
حتى نعانق اشراقة الفكر ..
و نذوب منع اكسير الفن ..
و نكتشف أنفسنا ..
قبل أن ننبهر بالآخرين !

* * *

والآن ...
و قد حللت في الخانة الخامسة من عمري ..
عرفت ان في سوق بلادي ..
أكثر من مرزوق واحد ..
فدعوني أصرخ لأنادي كل (مرازيق) بلادي ..
دعوني أناديهم لأزيل عن شعورهم ووجوههم و أجسامهم .
غبار التناسي .. و خيوط العناكب ..
دعوني أهيبهم لهم عقلي ..
و أفسح لهم صدري ..
و أمد لهم يدي ..

د دعوني أزيل عن دروبهم المتاريس والأسلاك الشائكة ..
والعبوات الناسفة ..

دعوني أجعل منهم أقمارا معترفا بها بدون تأشيرة شرقية .
دعوني فأنا مصرٌ على أن مهزلة سنوات الطمس ..
يجب أن تزول !

لأن أرضنا لا تنبت فقط الأعشاب الطفيلية ..
و أن أشجارنا تنبت فاكهة أخرى غير حبات الهندي
الشوكية ..

وأن حضراءنا قادة على انجاب أدمغة ومواهب
و نجومنا ستبهر الشرق حتما والغرب .



قصيدتان

شعر : أنور حسن موسى
- العراق -

1. (السوق)

أنهار تتقدم
أنهار تتوقف
أنهار تتراجع
أنهار تتأرجح بين هذه وتلك
لكنها جميعا تتلاشى في النهاية
في بحر أنفق أسماكه
لأرضاء حوت أزرق ..

2. (الحرب)

ما تجمعه غملة خلال عام
تبعثره غيمة عابرة
في لحظة إنهمارٍ

إيديولوجيا الشّجن في رواية « أخاديد الزّمن » - مغامرة الكتابة ، ضعف البناء -

بقلم : محجوب العياري

1- إيديولوجيا الشّجن :

لعلّ ما كتب عن الشّعْر وفيه كفيْل بالدلالة على أنّ السّر لم يحض بنفس القيمة من الإهتمام على الأقل مغارته به ، رغم أنّ المدوّنة السّردية ضخمة ، ولنا أمثلة على ذلك في التّراث العربي [الأغاني للأصبهاني ، المقامات للهمداني ، البخلاء ، والرسائل والحيوان للجاحظ ، العقد الفريد لابن عبد ربّه] . وإذا كان السّالف يؤثّر في اللاحق عن وعي أو عن غير ما وعي ، فإنّ الآثار لا تنزل على أصحابها وحيا ، وإنّما تولد في المجتمع وانطلاقا منه ، وبذلك فإنّ المبدع لا يبدع من فراغ ، كما أنّ الإبداع الجيّد لا يتأتّى بغير نصوص جيّدة تختزنها الذاكرة ، ثمّ انطلاقا منها تخرج بمثل ما تخرج به النحلة من الرّياض والغابات ، أو كما يقول ألفريد لورد تيتيسون بولوليسيز : « جزء أنا من كلّ ما التقيت بيد أنّ التجربة كلّها ماهي إلّا قنطرة خلالها يتلأّ ذلك العالم الذي لم يسلك ذلك الذي يتلاشى حدّه أبداً وإلى الأبد كلّما مضيت » .

إنّ السؤال الذي يطال القارئ قبل أن يطرق باب الكتاب ، ويلج مساريه هو : إلى أيّ جنس ينتمي هذا الكتاب ؟! هل هو قصّة ؟ أم رواية ؟ أم مسرحيّة ؟ أم غير ذلك ؟ في الحقيقة لقد أصبح في العصر الحديث من الصّعب أن نحدّد أدبا ما : إلى أيّ جنس ينتمي ، لأنّه في نظري قد زالت الحدود بين هذه الأجناس الواهمة . فتداخلت الأنواع الأدبيّة المعروفة منذ القديم ، فتداخل الشّعْر بالنثر ، والقصّة بالرواية ، والرواية بالمسرحيّة ...

وبعد قراءتي لهذا الأثر اعتبرته « رواية قصيرة » وهي مرحلة متوسطة بين القصة القصيرة والرواية الطويلة وقد يكون بطل الرواية شخصا واحدا مثل ناصر في هذه الرواية القصيرة ، أو مجموعة قليلة من الأشخاص كالآم وسامي وناصر وعادة ما تقتصر على مرحلة زمنية محددة لا تتجه فيها الأحداث إلى التعقيد الكبير مثل ما وقع في هذه الرواية القصيرة .

ومن أشهر الآثار هنا « حياة » لموياسان و« إبنة الضابط » لبوشكين و« لوحة دوريان غراي » لأوسكار وايلد . والأجنحة المتكسرة لجبران و« جمهورية فرحات » ليويس إدريس أو « عرس الزين » للطيب صالح ، وتحوي هذه الرواية ثمانية فصول ، كان كل فصل من فصولها يحمل بعدا ولونا من ألوان المأساة التي يعيشها الأبطال ، وهنالك : العائلة يتزعّمها الابن سامي ، ثم ابن أخته الناصر فيما بعد . فكل الفصول تقريبا تصوّر مأساة عائلة مات عائلتها وتركها تتخبط في أهوال الفقر والحرمان ، ولعل أول فصل يمثل البداية الحقيقية لمأساة هذه العائلة ، إذ يشهد هذا الفصل بخبر وفاة الوالد ، وهذه الوفاة تمثّل بالنسبة إلى العائلة ، وخاصة بطل الفصول الثلاثة الأولى على الأقل وهو سامي مشكلة سيحاول أن يجد لها حلاً ، حيث اعتزم الانقطاع عن الدراسة والعمل وإعانة العائلة ، وقد واجه في سبيل تحقيق هذا الهدف وحل المشكلة العديد من المصاعب ، قبل أن تحلّ هذه المشكلة ، لكن الحزن أو الشجن لا يدع هذه العائلة تنعم لحظة واحدة بالاستقرار والطمأنينة ، فيسيطر الألم والشجن على أبطال هذه الرواية ، وبمرور الزمن تتسع التجاعيد والأخاديد ، وينبعث منها صوت اليأس مدوياً فلا تلتئم ، بل يزيدها الشجن عمقا واتساعا وتستحيل صورة ناطقة على لعنة الزمن ، ثم يحاول بطل الفصول الأربعة الأخيرة ، وهو الناصر الصمود مع عائلته في وجه الفقر والحرمان ، ومشاركتهم بعض الأفراح التي يختلسونها في غفوة من الزمن : [خطبة أخته وزواجها] ، وكذلك مجابهة هذا الوحش المارد وهو الأب القاسي

الفضّ الغليظ القلب الذي كان مَن اتَّحد مع الزَّمن لتعذيب هذه العائلة ، فقد كان صورة ناطقة عن النِّفاق والتَّدهور الأخلاقي والاجتماعي الذي يعيشه مجتمعنا ، وكذلك انعدام الرِّحمة والقيم النَّبيلة فيه . الحزن والشَّجن يلازمان أبطال الرواية ملازمة تامّة . حتّى في ساعات الفرح تنهمر الدُّموع ، وتتذكّر المصاعب والمآسي .

فهذه جلسة خمريّة لتناصر مع رفاقه لم تنسه واقعه الأليم ومأساته ، وعمق شجنه وحزنه ، ويقول الكاتب (في السطر الرابع ص 71) : « ولما دبَّ به الأرض ولعبت منه الرُّأس ذات اليمين وذات الشَّمال ، وأدغفه اللُّغوب ، فطفق يبكي بألم وجم على إثره الجميع ، وأرخى الصَّمت سدوله على الغرفة ومن فيها لما رأوه من صاحبهم دون معرفة السَّبب » . وكذلك مناسبة كالعيد لم تنس العائلة أحزانها ، فكانَ الفرح مناسبة فيها تسترجع الأحزان وتتذكّر فأخايد الزَّمن حادة ، حفرها الحزن وغلّاها الشَّجن ووسَّع دائرتها ، يقول الراوي (في السطر الثالث ص 55) : « ومن الغد ألْبست صبرة إبنيتها أبهى الثِّياب وأجملها ، وعند الخروج أوصت إبنها بأخته خيرا ، وخرج الطفلان حزنين كمن ذاهب لحضور جنازة قريب عزيز عليه » وكذلك (في السطر الخامس ص 57) : يقول الراوي « ولما دخلا المنزل على أمِّهما وجداهما في انتظارهما ، ولما رأتها عليه من فزع وهلع أجلستهما بين أبيهما لكن بكاء » . وبكاء أمّه وبكاء أخته قطع عليه جبل الحديث ، وانقلب عيد العائلة يومها حزنا وغما » .

فالشَّجن إيدولوجيا يبيّنها الكاتب عبر شخصياته . فإذا بحياتهم تستحيل حزنا وشجنا بل مأساة ، ولا غرابة في ذلك ، فالحزن إيدولوجيا الأدباء ، ومع ذلك كان يمكن للكاتب أن يقدم لنا مأساة . أعمق من هذه وأن يعمّق هذه الإيدولوجيا « إيدولوجيا الشَّجن ويجعلها متعلّقة بالشخصية المحوريّة في

حد ذاتها وبالأشخاص الأبطال ، وأن يجعل من الأشياء مشاركة ، فاعلة منفعة في آن معا بهذه الأيديولوجيا ، كان بإمكان الكاتب أن يسلك أسلوب القصة الواقعية الساخرة التي تستل منك الضحكة استللا ، وقد كان الدواعي في تونس من روادها كما أن هذه الرواية القصيرة شبيهة بقصة [ملائكة الرحمة] للقصاص محمد المرزوقي خاصة [من ناحية الوضع الاجتماعي المتردي والمأساوي الذي يعيشه البطل وعائلته] ، كما أن الحزن واليأس كانا ملازمين لها بالإضافة لما يعيشه البطل وعائلته [، أن الحزن واليأس كانا ملازمين لها بالإضافة إلى السلوك الغريب لبعض هؤلاء الأبطال ، ولعل ذلك شبيه بقصة « واخجلي » لمحمد المرزوقي أيضا خاصة [في علاقة ناصر بالجنس الآخر (الأنثى) وهو بهذا يصور التفسخ الاجتماعي في هذا العصر .

2. مغامرة الكتابة وضعف البناء

لقد استعمل الكاتب عدة فنيات قصصية ليصور هذه المواضيع الفاسدة في المجتمع ، فقد استعمل الوصف والحوار والسرد ، وقد تضافرت هذه العناصر على تحليل نفسيات الأبطال وإبراز الفعل ورد الفعل عندهم ، وكشف آلامهم وأحلامهم وإنفعالاتهم الداخلية ، وحب بعضهم للثأر مثلما هو الحال بالنسبة إلى سامي أو الناصر . والكاتب يعتمد إلى أن ينطق أبطاله أثناء الحوار بما في أعماقه هولا بما في أعماقهم هم ، فيعبّرون عن رأيه في شؤون المجتمع والحياة دونما تورية أو حجاب مثلما نجد جليا في القصة وهذا لعمري خطير في كتابة الرواية وبنائها الفني ، ذلك أن الكتابة كما قال أحد كتّاب الرواية الجديدة وهو جون ريكاردو « ليست كتابة مغامرة بقدر ما هي مغامرة كتابة » .

كما لا يمكن لقارئ الرواية أن لا تشير انتباهه لفظة مكروه تنعت بها

الموسس أحيانا كثيرة ، وقد استعملت في هذا الأثر بصفة مجانية في الغالب ، هذا إضافة إلى واقعة البطل الشاذة مع شيخ شاذ أيضا ، وكذلك ما وقع داخل المحافلة ، وقد أصابت الرواية بنوع من الترهّل والانتفاخ الشّحمي ، ولعلّ ذلك ممّا أعدّه من السّقطات التي يقع فيها أديب أثرت فيه نصوص عدّت من الأدب المهمّش [كالحبّز الحافي] لمحمّد شكري وروايات حنّامينة وغيرها ، ولئن جاز لهؤلاء أن يسردوا ما عاشوه ، فلأنّ ذلك نابع من تجربة ذاتيّة مريرة وطبقة اجتماعية بائسة ، وواقع لا يمكن أن يكون بأيّ حال نفس واقع هذا الروائي الشاب .

ومختصر القول إنّ بين كلّ من عمل الأكاديمي والعصاميّ برزخ إن لم نقل درجات لا يختلطان لغويّا فما بالك بمضمونيّ .. هذا بالإضافة إلى الخلل الذي وقع في أحداث الفصول [ص 37 السّطر 17 و 18 : واقعة سابقة للفصل الأوّل] . وعلى كلّ « أخاديد الزّمن رواية قصيرة تسع من الألم أقساه ومن الحزن أو الشّجن أقصاه » ترجمان لواقع مرير عاشه الكاتب الذي وإن حاول التخفّي وراء البطل ، فإنّ اسمه كشفه « فناصر هو فوزي وهل يختلف « النّصر » عن « الفوز » ؟! وسعاد أم البطل في الرواية هي سعاد أم الكاتب فوزي الدّيماسي في الواقع ، ولعلّ للإهداء يؤكّد ذلك وهذا ما يجعل هذه الرواية القصيرة أقرب إلى السيرة الذاتية ، وإن صنّفها صاحبها ضمن جنس الرواية . ولعلّه لم يخطئ في ذلك . فهي بين هذه وتلك ، رواية أم سيرة ذاتيّة لا يهمّ ، المهمّ في تقديري أنّ صديقنا فوزي قد كتب وله الفضل في الكتابة والإبداع ، وما علينا نحن سوى أن ننسج إبداعا نقديا يضاهي ذلك النّسيج الجميل الذي خطّطه أنامله وأملاه عليه عقله وثقافته ووجدانه .

نصف دينار ثانيا وثالثا *

بقلم :إبراهيم بن سلطان

** ثانيا :

كان ابن حيّ الطوب « عاندا من سوق البلدة وأمامه صبيان فرنسيان يسيران على الأسفلت سعيدين يحملان قفّة ملأى بما لذّ وطاب .. الصبي يرتدي ثبانا قصيرا وعماه تمسك أذن القفّة والبنية ترتدي تنورة بلون الأقحوان ويسراها تقبض على أذن القفّة الأخرى .. يلتفتان بين الحين والحين ضاحكين .. النعيم يفيض من وجهيهما المتلائين صفاء يكاد الدم ينبجس من وجنتيهما المزهرتين .. الصبي يماثله في السن .. هاهما يهزجان بأنشودة فرنسية في هذا الصباح الجميل فيصغي إليهما عله يفهم كلماتها متابعا خطواتهما الصغيرة متمهلا .. سقطت وزفة من يد الصبي اليسرى .. لم ينتبه إلى ذلك .. واصل مع أخته الطريق متهجين .. بلغ المكان .. انحنى .. التقطها .. الورقة مطوية بعناية .. فتحها برفق .. شمها فغنت ببطنه عصفير طرية وأومضت بذهنه الصغير أفكار شهية .. كانت نصف دينار .. وضعها في جيب سرواله وظلت أصابعه تشدّ عليها بحرص .. عاد إلى السوق .. طفق يقتني ما راق له من حلوى وشكولاتة وسجائر رفيعة ذات نكهة مميزة .. سيعود إلى المنزل متخما .. إن سأله والداه عن عدم رغبته في الأكل سيجيبهما بأنه تغدّى بمنزل أحد الأقارب أو يدعى بأنه مريض ..

بلغ الصبيان منزلهما الأثيق حذو إدارة المنجم .. سألت الأم ابنتها عما تبقى من النقود .. أدخل يده إلى جيبه .. بهت .. فتش باقي جيبه .. كان متأكدا أن التاجر المغربي أرجع له نصف دينار .. سأل أخته فردت :
- لقد بارحنا السوق وأنت تقبض عليه بيمناك !

عادا أدراجهما .. بحثا وبحثا .. سألا التاجر المغربي وغيره من التجار .. وابن « حيّ الطوب » يرمقهما من بعيد مواصلا اقتناء مايلذّ له متسائلا : « ترى

أسيما قبيهما أبوهما ؟ أسيئلان ما أناله من أبي عند إضاعته بضعة مليكات أو
انسكاب بعض الزيت أو المرق أو الماء ؟؟؟ لا أظن ذلك ! لو كان أبوهما يضربهما
لما كان وجهاهما صبرحين وثيابهما جميلة !!! »
*** ثالثا :

عاد أبوه إلى المنزل ذات مساء مخمورا مترنحا مترنما بأغنية فاحشة .. نزع
جَمَازته العتيقة مغنمغا وعلفها بمقبض النافذة الوطيئة ثم استلقى على الفراش
الهزيل متهالكا والأم تمنع صغيرهما من الدنونه ومشغلته بفلي شعر رأسه حتى
ينام .. غلب الأب النعاس فنام مطلقا شخيرا بغيضا مزعجا .. نامت الأم متأوهة
.. نظرت الولد خفيفا نحو النافذة .. مد أنامله الصغيرة إلى جيب الجَمَازة الداخلي ..
تحسّس ما بداخله .. اصطدمت أصابعه بورق قذات ملمس ممّيز .. أخرجها وغادر
الغرفة الوحيدة حذرا .. فتح أصابع يده اليمنى .. تأملها على ضوء القمر الكسيف
ونسيمات الليل الخريفى الطرية تلدغ جسمه النحيل .. كانت نصف دينار .. بلغ
السوق القريب وقرص الشمس يطلّ من خلف الجبال متوهجا .. شرب ما شرب ثم
عاد إلى المنزل محاولا إخفاء ما بجيوب سرواله المهترئ ..
أفاق أبوه كعادته متأخرا متشائبا ويقايا سكرة البارحة تشدّ على دماغه ..
تناول ما أعدته الأم ثم مدّ يده الخشنة إلى جيب جَمَازته قبل المنادة على ابنه
ليشرب له عليه تيغ رخيص .. صاح كالمسوع وزمجر متهمها الجميع :
- أين نقودي يا زوجة البؤس ؟ يا « فرخ الحرام » ؟ !
واجهته الأم :

- عيب ما تقوله هذا الصّباح !
ثم أضافت صارة على أسنانها في غيظ :
- لعلك أضعتها أو أنفقتها وأنت سكران !!
ردّ في حدة :
- لا ! لا ! كانت بجيبي وأنا أغادر الحَمارة !
تواصل غضبه وصياحه .. حاولت الأم تهدئته :
- فتش جيوبك يا « راجل » !

البقية ص: 34

عودة الصبي

بقلم : محمد الأحمد *

العراق

كانت الدرجات الثلاث بعد الباب الخارجي مباشرة تصل إلى فضاء ضيق مفروشة أرضيته بطابوقات حمر تراصفت بشكلها المعين ملتصقة مع بعض ، تبدو نظيفة مرتبة ، منسقة تناهت عند الجدران التي مازالت مليئة برسومي وخرايشي ملتصقة بثلاثات هي في حقيقتها أنصاف طابوقات مربعة قطعت من أوتارها وألصقت أسفل الحيطان في كل أنحاء البيت الذي نسينه . تقدمت الدرجات الثلاث وأنا أحدث نفسي : كم مرة أنزلت ولم يصبني أذى ، أمي تبتهل ، وأبسي يتفوه « عرق ما يطقه » ..

أيام سود جثمت مخيلتي عابرا طفولة أغرقها الغمر والبعاد ، تدفعني سكرتي النشبة الآن وصولا إلى عمق المكان الموحش بعد أن كان مأهولا ومليئا بدقائق لم تسقط من الذاكرة أبداً

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

رائحة بول نفاذة تزكم الأنفاس تتخلل الدكنة الكثيفة للفضاء الذي كانت تملؤه كراسي ومناضد مصنوعة من سعف النخيل صقيلة وقوية موزعة بترتيب يتغير كل مناسبة بتناسق جديد تحرص والدتي على عاداتها خوفاً من انتقادات جاراتها المعجبات بحلاوة ذوقها . كانت تحرص على غسل ورودها الصناعية ، فتبدو وكأن روحاً طبيعياً تجعلها تفوح برائحة زكية . وفي مرة أجبرت أمي - أبي أن يأتيها بقطعة قماش ملونة ، كبيرة وجعلته يتعطل نصف نهار عن عمله لتخفي الأسوداد في جذوع النخيل التي كانت مستخدمة في إنشاء السقف الذي كان بين أونة وأخرى تسقط منه أتربة وأحجار تفسد زينة ونظافة المكان .

الآن وبعد عشرات السنين تقدمت الدرجات الثلاث التي أعرف كيفية الخطو عليها ليلاً ونهاراً واجهتني قطعة القماش الكبيرة الملونة وقصد استحال لونها إلى

* كاتب عراقي ولد في 1961 عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب

أخضر يميل إلى السواد وقد أختفت السماوات التي كانت منقوشة عليها والتي كنت أحلق بأخيلتي على أديمها ..

سبحت في الظهاري القانظة صمتا مربيا قطع دوران مروحة الهواء المثبته بمسار فولاذي كبير إلى الجذع الثالث المتوسط للسقف ، وسبق أن صعدت إليها مرة ومددت بقلم « الماجك » الأسود العريض محاولا خط مستقيم أثناء دورانها ، وسقطت من كرسي السعف بعد أن تكسر تحتي ، وبقي الخط حلزونا صار بعدها يأخذني إلى عمقه وينظعني أتعابا مهولة كلما حدثت إليه أثناء أستلقائي ..

قال أبي مرة بهمس بأذن أُمي في ذلك المكان « لولا نجاحه في البكلوريا الابتدائية لما قررت أخذه معنا إلى بيت خالته » .. تلك المرة الأولى التي خفت فيها من فظاظة طبعي وحراكي العيشي . تركت عناقيد العنب المدلاة من الكرمة العالية التي توسطت ساحة الدار ، تنضج . ولم أدع أحدا من أخوتي يمسه ، ولم أعبث بقفص الطيور البيض التي كان أبي يجمعها ويتسلى بها فوق الدار ... كنت متحمسا لأن أرى [هدى] بنت خالتي التي قال لسي عنها أحد أصدقائي في المدرسة « نياك عنذك أحلى بنت خالة » ..

جمرات من الوجد تشي التذكر ، حشرات الأمانى المعتمرة من لبالي الغربة جعلتني أقف مبتسما كأني في حلمي ذاك وفرحي الطفولي ذاك . فتسحفا مافي السقف الأبل للسقوط تحركت إليها عظاية صغيرة بلون لم أميزه ، فتساقطت على أم رأسي تنف أحجار وتناثر غبار جعلني أسعل بصوت كالجملجة كأنه صوت أبي ذاته يرعد في المكان ...

كانت عيناى حذرتين إلى الأرض ، خوفا من أفاع تلدغني انتقاما مني بعد أن كنت لا أرحمها أيام ذاك أبدا ... أكوام صحف صارت أوراقها صفر متهرئة ومكومة في الركن الذي كنا نضع عنده جهاز الراديو الكبير ذا الإطار الخشبي الموشى باللون الذهبي ، بركة من براز نتن كأنه قد ترك قبل دخولي بقليل .. قفزت مثل ذلك الولد الذي كنته لا تقله النسمة فيطير معها ، ولا يحجمه الجبل ، فيفلته كان أبي يوثقني إلى الشجرة الغليظة التي زرعها والده ، ظلت وارقة ، عند المغرب

تعود إليها العصفير التي بنت أعشاشها بين أيك الغصون المتشابكة ، وكنت غالبا أصعد إلى أعلى غصن لأمسك بصغار الحمام الفاخت وأدجنه مع طيور أبي البيض وما كنت أنسى أعشاش البلابل المغردة فما أن تنفص حتى أنزلها وأرببها كما يفعل أبواها ، فكنت أشربها الماء من حلقي وألقمها نتف الخبز الصغيرة ، وأعلمها أنعاما أحبها لتعيدها إلي بصوتها الشجي ، ما أن تبلغ العام حتى أبيعها بمبلغ يأتييني بعلبة سكاثر مطعمة ب « المينثول » ، كي أدخنها على سطح الدار ، أو بين الأزقة أثناء عودتي من المدرسة ... خطوط الممر متمليا الشجرة المتمركزة في حديقة الدار .. أوراق متناثرة ملأت الساقية التي حفرها جدي لتدخل من تحت السباج بالماء وتسقي الأشجار التنخبة بقيت منها هياكلها اليابسة . ملابس قديمة مهترأة ومجعلكة .. علب صفيح صدأ .. برك رصاصية تنق منها الضفادع ، وأصوات صراصر لا تنقطع .

كان أبي يجعلني أتوسل إليه من شدة الضرب المبرح بتعاله المطاطي بينما أُمي تحاول منعه كان يدفعها لتقول له « يالك من أب قاس » ، وكان هو يقول لها لاهجا بهستريا « هذا ليس إبني .. ابن عفريت » .. أعدده أن لا أفعل ما فعلت مرة أخرى لكنه يزيد بضربي ، فتعودت على السكوت مهما ظل بضربي . مرة لم يكتف بضربي وتأنبني وحسب بل تركني طوال ليلة حتى الصباح موثوقا إلى جذع الشجرة ، وكان البرد يصل بالعظام .

حاولت فتح أكرة الباب المفضي إلى الحديقة فلم أفلح بعد أن هزته بقوة جسدي الستيني الواهن . فتركته مكتفيا بالنظر من خلال فتحة الزجاج المتكسر ، ورأيت تصاعد الأدغال وأعمدة القصب حول الأشجار ، فلم أتمكن من رؤية ساق الشجرة المحزوزة بالسلسلة الحديدية التي كانت تقيد كلب جدي . أتذكر شعره الذهبي الناعم وغرته البيضاء حد الرقبة ونهايته المؤلمة عندما سقطت مني دون قصد حاوية الغاز على ظهره وقصمته حينما كنت أجرب عمل العتلات والبكرات مستفيدا من الغصن المتين ، والذي كان شقيقي يستخدمه أرجوحة ويلعب بها مع إختوتي .. نظرت إلى مكانه وكأنني أراه في اللحظة ينظر الي بلوم شديد .. بعد أن كان ينعم بالفى ، الرطب البارد نائما قبل أن يصاب ويقي أياما بلياليها يعوي كأنه بكاء . توسل من

أجل الموت بدلا من عذابه الممض ، بعد ذلك أعطاه عمي قطعة حلوى مسمومة ظل بعدها بلا حراك حتى حملناه في كيس ووضعنا معه ثقالة من صخورات عدة ثم قذفناه بالكيس إلى عمق نهر « خريسان » . [1]

نظرت إلى شباك الباب عندما لامستني رطوبته ورأيت منخورا اذ جعلته الأرضة بغضون وأخايد مقرة ، ففي الشتاءات القارصة كنت أقف وأنظر من خلال زجاجة التنظيف وأمسح الماء المكتشف على سطحه وأفرك يدي بالأخرى .. نظرت إلى الحائط القريب الذي كنت أستذكر دروسي عليه بقلم الطباشير وكان سرب من النمل الأصفر قد خطا إلى أعلى وأسفل جيئة وذهابا .. رأيت العبارة التي خطها خالي بفحم البطارية ، وقرأتها بصوت عال :

كنت وقتها أحفظ صورتها وأعيد كتابتها دون أن أعرف معناها . تسارعت دقات قلبي عندما سمعت وقع أقدام وصوت همس أتى من عمق المكان .. أوقفت تنفسي المتحشرج لأميز الصوت . أنتظرت لحظات دون أن أسمع شيئا آخر ، فهيمت محاولا الخروج من البيت الحرق الذي أصبح آيلا للسقوط .. الحيطان باتت قريبة من بعضها ، وكأنها ليست كما كانت في السابق رغم أنني قد تركت ذكرياتي في كل جزء منه ؛ أخذت الهمهمات تقترب أكثر حتى صارت تأتي من الغرفة المغلقة التي لم أفكر بالتقرب منها لأنها خصت شقيقتي المتوفاة وأغلقها والذي بما تحوي من أشياء وكتب ..

[بقيت مع غرفة الاستقبال ولم يسقط سقفها]

كان الاخطار بهدمه قد وصل ليلة البارحة ، وعلي البت بالأمر عاجلا . وقفت في الفضاء متنفسا بعمق وكأنني أحمل كتبي ودفاتري مستعدا للذهاب إلى المدرسة ، الأصوات أخذت تتبين وكأنها وقع خطوات تأتي من الظلام العميق ، وبعد لحظات تبينت لها لصبي بصبغته رجل .. شاهداني ثم هرب الرجل وخلفه الصبي متخططين الدرجات الثلاث بقفزة واحدة ، فتذكرت تلك الليلة التي طردني فيها والذي إلى الأبد .

1 - نهر صغير يمر في مدينة بعقوبة محاذيا لنهر دىالى العظيم ويصب فيه

بقلم : الهادي الطياشي

في آخر العطلة الصيفية ومع بداية الخريف حيث ينتهي كل شي ، وتسكت طبول الأعراس وتنظف البيادر من محصول صابة العام ويعود المسافرون من العطل ، تؤثت عادة زيارات الأولياء الصالحين لإقامة « الزردة » والتبرك بمقاماتهم ، ومن هنا تبدأ عندنا التحضيرات للزيارة الكبرى إلى سيدي البشير الولي الصالح الذي شكّل ولاء إجتماعياً ونفسياً لعرش « بجاوة » وأرسى لهم عادة الزواج وكيفية الترابط الأسري على أسس المحبة والعفوية والتفاهم المعقلنين بدون شروط ولزوميات .

وزردة سيدي البشير لها الوقع الكبير على النفوس فترى العائلات تستعدّ لها استعداداً خاصاً من حيث الكلفة والبرمجة ، ويستعدّ الأطفال لإرتداء أجمل الثياب ويتجّبون بأثاث صيد السمك الكثير بوادي سيدي البشير ، ذلك الوادي الذي لا ينضب ماؤه طيلة السنة ولا يسكت خريره المتواصل بين الجبلين حيث مقام الولي الصالح سيدي البشير المحفوف بنبات الدقلة والعليق وشجر الزبوس .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء الذي يبقى في أذهان أطفال الستينات أحلى وأطيب ذكرى يستعدّ فيها الطفل للزيارة السنوية إلى مقام الولي حيث يقضي الليل يحلم بالسباحة وبصيد الأسماك في الوادي السخي بمائه العذب المتدفق من عيون الجبال الطبيعية وتستعد النساء لإعداد لوازم الأكل ، وحاجيات الزيارة من بخور وشموع لإتارة وتطييب دهاليز الزاوية ، كما تهذي الفتيات متمنيات ملاقاتة فرسان أحلامهنّ خلال اللقاء ، نعم لقاء العائلة الكبرى لعرش بجاوة المتفرّع والمعروف بجمال الحلقة والخلق والمتجذّر في تاريخ البربر بشمال إفريقية .

وتنطلق الرحلة على متن قطار الثلاثاء على الساعة الرابعة صباحاً في اتجاه سيدي البشير ليصعد فيه الزوار من ولاية تونس وينزرت وكافة مدنهما وجبوعهما السكانية وعند النزول في محطة سيدي البشير [بني متغنية] التي تبعد

كيلومتريين على مقام الولي الصالح ومن ثمة يبدأ لقاء التعارف وبذلك التعاون والمساعدة في حمل لوازم الزردة من أواني طبخ ، ولوازم الأكل وشاة القربان التي سيتم ذبحها على عين المكان فتري الناس زرافات ووحداً يسرون تحت بزوغ الشمس وعلى جانبي الوادي الكبير يتجاذبون أطراف الحديث ومن هنا تبدأ الحكاية .

طلع النهار ، ووصل الزائرون وشرع الرجال في نصب وتركيب الأماكن على حافة الوادي وسط غابة الدقلة وبدأت مراسم الزيارة بذبح القرابين واستعدت النسوة لطبخ الطعام وانتشر الأطفال والشبان والفتيات في الفضاءات الطبيعية المزركشة بأزهار الدقلة المتعددة الألوان وبدأت السباحة وصيد الأسماك ، ومغازلة الفتيات على الطريقة الأفلاطونية وعلى إيقاع خريبر ماء الورد فكانت مفاتيح اللقاء على طريقة السؤال « من أين جئتم ؟ »

وبالإجابة تبدأ أحيانا قصة حب كبيرة فمن التعارف الضيق إلى التعارف الأسري فالى الفطور من الزردة ثم الاقتراح والمواعيد فالارتباط والحب إلى أن تولد علاقة الاستحسان وبناء أسرة جديدة .
هذا جانب من الزردة يمكن أن تشبهه بسوق عكاظ أيام كانت عائشة تخرج أحيانا بفتيات قريش لقضاء بعض الشؤون وإتاحة الفرصة لفتيان قريش لمشاهدة المحجوبات لعل القسمة والنصيب يكون فعلاً من ذلك اللقاء لقاء العشق والود والمحبة والترابط الأسري .

وما إن ينتهي الفطور حتى ينطلق الجميع نحو زاوية سيدي البشير حاملين بأيديهم الشموع والبخور والسنجق ليقرؤوا فاتحة الكتاب على التابوت هنالك ويضيئون المقام بالشموع ويضعون البخور على النار ، ويزغردون وبعد ذلك يصعدون الحبل المقابل حيث مقام زوجة الولي الصالح الحاجة حليلة على الرتبة ليقرأوا هنالك فاتحة الكتاب مرة أخرى ويشعلوا الشموع ويضعوا البخور والسنجق والحناء وفي الصعود إليها هي أيضاً رحلة أخرى تنتزك فيها أسباب التعارف والتوادم والمساعدة للعجائز والشيوخ ومن ليست لهم اللياقة البدنية الكافية في تسلق وصعود الجبل .

وعند الوصول إلى مقام الحاجة حليلة يتراءى لك مشهد جميل جداً لحرم الولي الصالح سيدي البشير الذي يشكل لوحة طبيعية يمكن للفنان أن يبدع في رسمها وتشكيلها في أعلى معانيها .

وتتواصل زيارة الزاوية إلى العشبة علاوة على ذلك الجولات التي يقوم بها الزوار مع تجاذب أطراف الحديث وخاصة من حصل بعد بينهم التعارف ثم بعد ذلك تأتي برامج السهرات التي تتنوع حسب التكتلات والعائلات التي تعرفت على بعضها وذلك بداية من طبخ العشاء وترتيب وتوضيب مكان السهرة .

وفي الليل تنطلق الزغاريد والايقاعات على الدربوكة والأغاني الشعبية والمدائح والأذكار وكثيراً ما نسمع مدح وذكر الولي الصالح سيدي البشير كالتالي :
« **جدي شايب ذرعانا وأمي حليلة أميمتنا وبالحليب الصافي اروتنا** » وتتواصل الأفراح طوال الليل بين ذينك الجبلين وسط عريش الذفلة والعليق فترى المصاييح تنير نقاطا مصفغة على حافة الوادي حيث يختلط شعاعها بدخان البخور لتزيد الطبيعة رونقا وجمالا ليليا فريدا ولنرى ونعيش مهرجانا عفويا منظما بشكل طبيعي وعلى أخلاقيات احترام رمز سيدي البشير الولي الصالح والقُدوة الطاهرة لدى الزائرين .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتستمر الاحتفالات وسهرات الزردة إلى مطلع الفجر وفي الصباح ينهض الجميع للإلتحاف نحو عين الحمام لملء بعض القوارير بالماء والعودة بها إلى ديارهم قصد تمكين جيرانهم من جرعة للتبرك مع بعض الشموع والبخور ،وشيء من لحم القربان مع بعض الحلوى التي تباع هنالك عند بعض الباعة ثم بعد ذلك يشرع الجميع في الاستعداد للعودة بترتيب أذباشهم والرجوع بأحلى ذكريات الزردة على أمل اللقاء عند بعض المتعارفين الجدد ، وفي الزردة السنوية القادمة مرزدين لبعضهم : زيارة ونيازة تنفحك الزيارة ... وتبقى زيارة سيدي البشير أو بو شخماية نسبة للون ردائه ، أو الخلاوي نسبة لخلوة الولي وخلوة زوجته ظاهرة محترمة ومقدسة لدى عرش بجاوة .

الملتقى العلمي التاسع

تنظيم

جمعية الملتقيات الفكرية بالمكناسي

- التصنيع والتنمية -

بقلم : محمود غانمي

نظمت جمعية الملتقيات العلمية والفكرية بالمكناسي بكل نجاح وتآلق الملتقى العلمي التاسع حول التصنيع والتنمية أيام 28 - 29 - 30 جانفي 2000 في دار الثقافة بالمكناسي تحت رعاية مجلس ولاية سيدي بوزيد والمندوبية الجهوية للثقافة ولجنة تنسيق التجمع بسيدي بوزيد وديوان تنمية الوسط الغربي وبلدية المكناسي وبدعم من المكاتب والمؤسسات الخاصة بالجهة .

وفي هذه المتابعة رصدنا ملامح هذه الدورة وأجواءها التنشيطية فأردنا تدوين إشادة وتنويعا بجهد جمعية الملتقيات العلمية والفكرية بالمكناسي وما تضيفه على الجهة من حركية ثقافية وطرح مسائل وثيقة الصلة بمشاغل المثقف بل كل الشرائع الإجتماعية لطابعها الثقافي الشمولي . الجمعية تواكب الجديد من قضايا العصر الفكري والعلمية والحضارية وتستحث أهل الاختصاص للبحث في عدة قضايا يقدمها أساتذة الجامعات التونسية في شكل دراسات علمية جذابة بالإطلاع والقراءة والتمعن فيها مثل (... العرب وقضية الماء ، التنمية والتصنيع ، العرب وتحديات العولمة) .

* الجمعية العلمية : تعريفها :

- يعود أول ملتقى إلى جانفي 1992

- تحصلت الجمعية على تأشيرتها القانونية سنة 1994

- تقدم الجمعية أنشطة علمية تنموية وأخرى تروية ومنهجية لتلامذة البكالوريا والتاسعة أساسي وتنظم مسامرات رمضانية وأنشطة فكرية متنوعة

- مثلت ولاية سيدي بوزيد في اليوم الوطني للجمعيات 1999

- يتم تجديدها هياتها بعد كل سنتين عبر مؤتمر مفتوح

- تدبر الجمعية حاليا الهيئة التالية :

محمد عاشور حراثي (رئيس شرفي) بوجمعة المشي (رئيس) بدر الدين قمودي

(كاتب عام) محجوب رداوي (أمين مال) الأعضاء : عادل غابري - حكيم

قاسمي - محمد فريد بكاربي - صلاح لافي

ويساند الجمعية أنصار من المثقفين من مختلف الشرائح خاصة الأساتذة

الجامعيين الذين أكدوا على عزمهم للحضور في الدورات القادمة مشاركين أو غير

مشاركين .

* ملامح الملتقى التاسع : التصنيع والتنمية :

توزعت الجلسات العلمية على مدى ثلاثة أيام متمثلة في دراسات علمية قام

بها أساتذة مختصون من الجامعات التونسية . كان موضوع هذه الجلسات موضوع

التصنيع والتنمية ، هذا العنوان الجامع التقى في البحث المتقضي عن المعلومة

الدقيقة بالموقف الشخصي كلما اقتضى الأمر تقييما أو نقدا لجوانب تخص التصنيع

والتنمية .

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

وكانت أبرز ملامح الملتقى متوزعة بين رصد خصائص المصطلح وبين التأريخ

للتنمية والتصنيع باعتبارهما حركتين متوازيتين للفعل البشري الواحد الذي ينشد

التقدم والرعاية ولم لا السيطرة على الطبيعة بل على الإنسان أيضا !!

وتراوحت المداخلات العلمية للأساتذة الجامعيين التعميم في الطرح وبين

التخصيص ليشمل البحث مجالا محدودا في الزمان والمكان ، فقدمت دراسات حول

تجارب العالم المتقدم في دراسة مقارنة بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي

واليابان وكذلك تجارب العالم النامي في التصنيع والتنمية ثم تخصصت بعض

الدراسات في مشكلات التنمية والتصنيع في الوطن العربي وقدمت أكثر من

دراسة حول التنمية والتصنيع في تونس .

وتخللت هذه المداخلات العلمية / الفكرية قراءات في الشعر الفصيح والعامي

والعزف على العود والنأي ، وأقيمت مسابقة لتلاميذ الأقسام النهائية حول محتوى

المداخلات مع جوائز للفائزين .

الملتقى جمع بين الإفادة والإمتاع فرغم كون المسألة علمية حضارية فقد كان فيها للشعر نصيب . فكان اللقاء بين الحاضرين جميعاً ألقى طقوس الشتاء فسهر عشاق الشعر ليلة شتوية لم يحسوا فيها بالبرد فقد احتضنهم الشعراء بدفى القصائد وطرائف الشعراء القدامى والمعاصرين .
هذه كلمة عامة وسأنتهي للتفصيل .

* التنمية والتصنيع : إطلالة على المصطلح :

لم يقرأ الأستاذ بوجمعة المشي محاضرة في الأوراق لكنه تدخل مرة حين احتد / تشعب النقاش ليكون الفيصل بين المختلفين فكانت مداخلته الموجزة محاضرة متكاملة حول المفهوم المصطلح في التنمية والتصنيع ، لقد قال فيما معناه : ليس التصنيع الصناعة وليست التنمية النمو ، وإنما التصنيع هو الفكرة مع المصنع مع البضاعة لأننا حين نصنع ما يفرّج فيه الآخرون ويعدّون فيه نظرية لانصنع لأننا نطبق أفكار الغير . وكذلك التنمية لاتعني تضخم الشيء بل تعني الزيادة والتكثير والتنوع . والتصنيع لايعني استهلاك أجهزة الحاسوب بل تعني ابتكاره وصناعته وتطويره فكم من فئة قليلة العدد يمكن لها أن تمتلك أرقى التكنولوجيات لكنها لا تمتلك مصانع لتلك المصنوعات كالطائرات والحاسوب ...

رغم تعدّد المداخلات / الدراسات حول التصنيع والتنمية بقيت كلمات الأستاذ بوجمعة المشي مدير الملتقى عالقة في الذهن فقد أحاط بالمصطلحين / التصنيع والتنمية من أغلب جوانبهما فلا غرابة في ذلك وهو المختص في مادة التاريخ والجغرافيا في كلية الآداب بصفافس .

لقد وضع الأستاذ المصطلحين في سياقهما الإصطلاحي والمعرفي والحضاري فبدت مسألة التصنيع والتنمية مسألة مصيرية اتسم بها تاريخ أوروبا والعالم الغربي عامة إذ عرفت أوروبا التصنيع منذ بدايات القرن 16 كظاهرة جديدة . وهاتين تشهد عدة نماذج معاصرة للدول المصنعة أبرزها على الإطلاق أمريكا واليابان

* الجلسة العلمية الأولى :

في اليوم الأول للملتقى 28 جانفي 2000 تمّ الإفتتاح من قبل السيّد محمد الغرياني والي سيدي بوزيد بحضور الكاتب العام للجنة تنسيق التجمع محمد العيد كبدوسي والسيّد محسن القيزاني المندوب الجهوي للثقافة والسيّد معتمد المكتاسي منور بوزيان وقد تابعت الإذاعة والتلفزة هذا الإفتتاح إلى جانب الإذاعة الجهوية بصفاقس وثلة من الإعلاميين مراسلي الإذاعات .

وألقى السيّد الوالي كلمة رحّب في مستهلّها بالحاضرين ونوّه فيها بدور جمعية الملتقيات العلمية والفكرية بالمكتاسي والدور الذي تضطلع به في طرح مثل هذه القضايا المعاصرة على بساط الدّرس ، وشكر الأساذة المحاضرين في هذا الملتقى . وبينّ للحاضرين أنّ سياسة التغيير تسعى لكسب رهان العولمة في مجال التصنيع والتنمية حيث سعى صانع التغيير زين العابدين بن علي في كلّ المناسبات الوطنية والعالمية إلى ترسيخ توجهات تونس في الخيارات العالمية ومواكبة كلّ ما يجدّ على السّاحة الدّولية فهي سائرة في ركب الحداثة والعولمة رائدها في ذلك تجارب الدّول المتقدّمة .

كما أكّد السيّد الوالي أنّ تونس تعتزّ بكتفاءاتها البشريّة وهي عازمة على مواكبة ركب التنمية من خلال التكوين المهني المتطور الذي يلبي حاجيات سوق الشغل مع مراعاة الخصوصيات المحليّة في ظلّ التنافس الدّولي المتسارع لكسب أرقى التكنولوجيات .

كان العنوان الجامع هو التصنيع والتنمية . وبانطلاق الجلسات العلميّة بدأت الأوراق تبوح للحاضرين بالفكر . وتشعّبت المسائل من محاضرة إلى أخرى .

* إشكالية التصنيع والتنمية : هو عنوان الجلسة العلميّة الأولى التي ترأسها محدّد صلاح الدّين العامي

افتتحها الأستاذ أحمد المجدي / جامعة سوسة بمحاضرة عنوانها : مدخل تاريخي حول تطوّر علاقة التنمية بالتصنيع ، فشدّ أسماع المحاضرين بدقة معلوماته وسلاسة الإلقاء حيث إرتجل مادة المحاضرة وكأنّه حفظها عن ظهر قلب بل إنّ آثار عدّة مشكليات في العلاقة بين التنمية والتصنيع وطرح أسئلة منها إذا كان بالإمكان تصنيع التنمية أو تنمية التصنيع ؟

وقد أثارت محاضرة أحمد المجدي عدّة تساؤلات اختلف فيها المناقشون أبرزها أيّهما سبق إلى التصنيع مصر أم تونس . فقد رأى الأستاذ / المدير الجهوي للتعليم بسبيدي بوزيد العفيف مصباحي أن تونس كانت سباقة في العنصر بما أحدثه خير الدين باشا من صناعات حربية وتأسيس المدرسة الحربية بباردو والموانئ في ما كتبه ابن أبي الضياف وأرخ له في « إتحاف أهل الزّمان » إلا أن التهامي الهاني رأى أن مصر كانت الأسبق إلى التصنيع لتأثرها بحملة نابليون بونابرت 1798 .

وكنّا نظنّ أن محاضرة أحمد المجدي هي غاية ما يمكن أن نسمعه في هذا المجال حيث ختم قوله في نهاية نقاشه مع المحاضرين أن الفرق بين العالم الثالث والدول المتقدّمة كبير ومذهل حيث قال لو أننا فتحنا رأس رجل / شاب من العالم الثالث لوجدنا فيه ثلاثة مطالب : فيلا - سيارة - امرأة ، أما إذا فتحنا رأس أمريكي سنجد استراتيجيا بأكملها في النظر إلى المستقبل .

غير أن محاضرة الأستاذ علي بن نصر / جامعة صفاقس وهي بعنوان تحولات الخريطة الصناعية في العالم منذ السبعينات كانت في منتهى الروعة حيث كانت ثريّة في رصد أهم المراحل التي مرّت بها أوروبا ومحوّل مراكز التصنيع من قطب إلى آخر . وقد ارجّح محاضرتي ، ولم يمنع ذلك من تقديم معلومات دقيقة وحديثة حول التجربة اليابانية والأمريكية في ما يخصّ تحكّم الشركات في مصر العالم . وأبرز ما قاله الأبيّاذ التدليل على قیمة الشركات الصناعية وقدرتها على التحكّم في القرار السياسي . في ما مضى كان الرؤساء يهتمّون بأمور الإقتصاد وترتيب الصفقات اليوم أصبح مدير المؤسسة يستقبل من طرف رئيس دولة أخرى لصنع قرار ما .

وختمت الجلسة الأولى بمحاضرة عبد الله الشريف / جامعة تونس 1 التي عنوانها العولمة والتصنيع والتنمية ، وفيها تبينا مدى حاجة التصنيع إلى التفاعل الدولي الذي يراعي خصوصيات الدول ومدى قدرتها على مواكبة نمط التصنيع المتسارع حيث بدا أن ليس كلّ الدول قادرة على النجاح في مواكبة النسق المتسارع للتصنيع لضعف إمكانياتها .

تخلّلت هذه المداخلات شطحات عازف العود الأستاذ الوردي عبدولي فقد شتّف

مسمع المحاضرين بمعزوفات لبعض الأغاني التونسية العتيقة .

الجلسة العلمية الثانية : السبت 29 جانفي 2000

اختارت لها لجنة الملتقات العلمية عنوان : استراتيجيات وتجارب التصنيع في العالم النامي : ترأس هذه الجلسة الأستاذ المحامي عادل غابري .

قدم في هذه الجلسة الأستاذ علي التومي / رئيس جمعية الجغرافيين التونسيين محاضرة بعنوان محاولة تقييمية لتجارب التصنيع بالعالم النامي .

إنّخذ الأستاذ من التجربة الجزائرية مثالا في دراسة لتجارب التصنيع في العالم الثالث وقد أفاض في بيان ما توصلت إليه التجربة من تطوّر في مؤشّر الصناعات حيث تطوّر تطوّرًا إيجابيًا أصبح يقاس بعشرات المليارات في ظرف وجيز حيث ساعدت الاختيارات السياسية التي اتبعتها الدولة منذ الإستقلال على انتهاج سياسة اقتصادية تصنيعية ناجعة إلى حدّ ما .

وقد قدّم الأستاذ صديق الفازعسي جامعة تونس 1 محاضرة بعنوان : تجارب التصنيع بالعالم العربي . قدّم فيها غاّاج من التصنيع التي لم ترق إلى مرتبة التجارب الأوروبية مثل التجربة الجزائرية والمصرية وببّن أنّ هذه التجارب اصطدمت بعراقيل الإستعمار فلم تثمر وأجهضت قبل اكتمال ملامحها .

وفي محاضرة الأستاذ حسن الهرماسي / جامعة سوسة وعنوانها : « تطوّر سياسة التصنيع والتوطن الصناعي في تونس » استمعنا إلى لمحة تاريخية عن تطوّر التصنيع وتركز الأقطاب الصناعية في البلاد التونسية حيث شهد الشريط الساحلي إحداث مراكز / أقطاب صناعية لأسباب داخلية وخارجية حيث تركّزت الصناعات العملية والتحويلية على الشريط الساحلي لتوفّر اليد العاملة ولقرب مراكز التصدير كالموانئ والمطارات وبقيت تونس العاصمة القطب الأكبر حيث اختارها المستثمرون الأجانب دون غيرها من الأقطاب الأخرى ، في حين بقيت المنطق الداخلية والغربية شبه خالية من الأقطاب الصناعية لقلة الاستثمار فيها .

وقد أجاب كلّ الأساتذة تقريبا عن سؤال حول سبب النقص هذا في قولهم : « إنّ المستثمر / الصناعي يبحث عن مكان يضع فيه دينارا فيسترجعه خمسة دنائير 11 واختتم الأستاذ عبد السلام النقاوي / معهد علوم الشغل / المدرسة

القومية للإدارة كلية الآداب بصفاقس الجلسة الثانية بمحاضرة عنوانها : التجديد التكنولوجي واستراتيجية التنمية في تونس .

وتلت هذه المحاضرات نقاش مستفيض لم يقل فائدة عن المحاضرات القدمة شارك فيه الحاضرون من أساتذة معاهد وتلاميذ ومثقفين .

وفي نفس اليوم أقيمت أمسية شعرية أثبت الليل بدفء الكلمات
أمسية الشعر : أمسية الدفء :

استضافت جمعية الملتقيات العلمية شعراء شعبيين هم : علي شوشان من منزل بوزيان وبلقاسم بن عبد اللطيف من قبلي والمولدي هضب من المزونة كما استضافت الشاعر المتميز شكري السلطاني سادن اللغة العربية .

وتشّط الشاعر الشعبي علي شوشان الأمسية الشعرية فلم تخل من حميمية الشعراء وجهم للدعابة والتندر بطرائق الشعراء .

وقد قرأ بلقاسم بن عبد اللطيف وروايع الشعرية منها « طَبَّ وماقريناش الطَّبَّ » وهي قصيدة مشهورة وقرأ المولدي هضب قصيدة يتغنّى فيها بولاية سبيدي بوزيد وروايع غزلية طاف فيها حول العالم ليحتمي من محاسن النساء ما يميّز معشوقته عن كل النساء . أما علي شوشان فقد قرأ قصائد فكاهية

وقد عزف شكري السلطاني على أوتار العريضة الفصحى . وهو عاشق الفصحى . فحرك سواكن الحاضرين وقرأ قصائد منها قصيدة : قبروان العواصم والهوى :

قتلت فيك جلالة الأسوار وبكيت من هجر الحبيب مزارى
وطويت بحرا في العيون على اللهى وغشوت حبا أدهم التسيار
فشهدت موجا والأنسة في العلى ورحلت وحدي ساسق الأشعار
قدما كان الشاعر يرحل للقبائل الأخرى محتطيا فرسه / جواده

غير أن الشاعرين شكري السلطاني وبلقاسم بن عبد اللطيف حلا ضيفين على المكتاسي وقد امتطى كل منهما ديوانه الشعري ، لقد حلا بيننا ومعهما ديوانا شعر فقد تأبط شكري السلطاني ديوانه « نوافذ العشق والنار » وتأبط بلقاسم بن عبد اللطيف ديوانه « القوافي في الفيافي » لقد تقدّست قداسة الفردوس - أرض

المكناسي يعطر الشعر .

وإذا كان لا بد لكل ملتقى أن يرتاده المهتمون (أشدّ هنا على الشكل) فقد
كنا كذلك وأثناء الملتقى بقراءات شعرية إلى جانب آخرين قرؤوا على هامش
الملتقى وهم منى النويري وأنور الطاهر أستاذ التربية المدنية . قرأ محمود غانمي إذا
قصائد في الحبّ منها قصيدة سحر العيون منها :

لا تغمضي عينيك إنّي يا منى ما زلت في أسرارها أتوغّل
ودعي الليالي تشتهي من لونها أنا في كل جمالها أتاوّل
لو كان لي أن أستهي لسبيتك مثل امرئ القيس الذي يتشكّل
وتركت تاريخ الهوى يتراجع بالعمل لا فيقال أنّي عاقل

وما زاد الأمسية الشعرية شاعرية وأريحية هو تناغم الكلمة الحلوة والنغم
الشجيّ الصاعد من الناي الذي حركته أنامل الفنان الشعبي الحيري مصباحي
ورنات العود التي أطرنا بها الأستاذ الوردّي عيدولي الذي عطر كلّ الجلسات
العلمية مع إحدى الفتيات ذات الصوت الرقيق التي أظريت الحاضرين بالأغاني
العتيقة والأغاني الشبّانية .

* الجلسة العلمية الثالثة : 30 جانفي 2000

<http://Archive.bez.saknint.com>

قدّمت تحت عنوان : « التصنيع في العالم المتقدّم » أدار حلقاتها الأستاذ
محسن عليبي رئيس اللجنة الثقافية المحلية وقد تألّق في تنوع فقراتها حيث
تخلّلت المحاضرات قراءات شعرية بالفصحى فقرأ شكري سلطاني ومحمود غانمي
ويلقاسم بن عبد اللطيف وعلي شوشان .

أمّا أهمّ عناوين المحاضرات فهي كما يلي :

- « مقوّمات العظيمة الصناعيّة بكلّ من الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي
واليابان » :

دراسة مقارنة قدّمها الأستاذ رشيد منصور / جامعة صفاقس . استفاد تلامذة
الباكالوريا من هذه المحاضرة منهجية ومعلومات حيث استعان الأستاذ بالكتاب
المدرسي في استقاء الأرقام والمعلومات للمقارنة .

- « دراسة مقارنة لمشاكل الصناعة في الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي

واليابان » : دراسة مقارنة قَدَّمها الأستاذ رشيد منصور / جامعة صفاقس . استفاد تلامذة البكالوريا من هذه المحاضرة منهجية ومعلومات حيث استعان الأستاذ بالكتاب المدرسي في استقاء الأرقام والمعلومات للمقارنة .

« تجربة الأقطار الصناعية الجديدة : هل هي النموذج الأمثل لتصنيع العالم النامي ؟ قَدَّمها الأستاذ خالد التَّوَيْصِر / مدير قسم الجغرافيا بتونس كلية الآداب منوبة .

* ما يذكر للملتقى فيحمد :

كان الملتقى العلمي إسمًا على مسمًى فقد إلتقى في البعيد بالقرب . فقد حلَّ بأرض المكناسي ضيوف صاروا أبناء . هذا الملتقى عاشروه منذ ولادته وحلَّ بأرضها أنباؤها الذين أخذتهم مشاغل الحياة بعيدا عنها . هكذا عشنا ثلاثة أيَّام على وقع الفكر والإمتاع والإفادة .

حضر إلى الملتقى تلامذة جاؤوا وأساتذتهم من مدينة السُّند التي تبعد عشرات الكيلومترات على مدينة المكناسي ودافعهم النهل من منابع صافية التَّبَع .

ما أجمل أن يلتقي التلميذ وقد كبر و صار أساتذة بأساتذته . والأجمل هو إن يلتف حول المثقفين أساتذة كانوا أو شعراء لأنهم هم وقود الدفء الذي أبعد عنا برد الشتاء .

أقوالهم في الملتقى :

« إنا نكنْ لهذه الجهة / المكناسي وأبنائها احتراما كبيرا لأنهم أهل ثقافة وأصالة ... » - السيّد المندوب الجهوي للثقافة بسبيدي بوزيد محسن القيزاني .. »

إننا لا نعجب حين نقول إن المكناسي أصبحت قطبا جامعيا ... فهي كلَّ عام تحتضن ملتقى علميا يؤثسه أساتذة جامعيون من تونس يتطارحون فيه قضايا كبرى ومعاصرة .. » أحمد الجدي / جامعة سوسة .

كان لا بد أن نذكرك : كلمة وفاء إلى الشاعر الرّاحل عامر بوترعة :

لم يمرّ الملتقى العلمي السّامع دون أن يتذكّر أهل المكناسي الشاعر الذي طالما آنسنا في أعراسنا الثقافية فهو دائم الحضور في الملتقى هكذا كان يقول من عرفوا عامر بوترعة حين افتقدوه إلى الأبد فقالوا إن المنبر بغير عامر ليس شيئا . هكذا

ذُكرنا الشاعر علي شوشان بصلواته وجولاته بينه وبين عامر بوترعة . الأكيد أن جمهور المكتاسي افتقد طعما مافي مائدة الشَّعر يصعب تعويضه . رحم الله الشاعر عامر ورزق الله أهل الشعر وجمهورهم شعرا . مثله .
الإختتام:

اختتم السيد معتمد المكتاسي نيابة عن والي سيدي بوزيد الملتقى التاسع مشيدا بالجهد الذي بذله الجميع لإنجاح الدَّورة ، وشاكرا للحضور على وفائهم الدائم لمساندة الملتقى العلمي . فتواعد الجميع على الحضور الدائم .
وتمَّ التعرّيج على الموضوع / المسألة المقترحة للدَّورة العاشرة وهو : العرب وتحديات العولمة . وبلباقتة الفكرية قال السيد المعتمد كان من المفروض أن نقول : تحديات العولمة والعرب لأنَّ العرب دائما متأخرون فلماذا تقدّمهم على العولمة ؟ وكأني به أراد أن يضع الحضور في إطار مناقشة بهذا الشكل ، لعلاقة العرب بالعولمة .



متابعات

أبو فراس الحمداني والأمير عبد القادر الجزائري في الدورة السابعة لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في الجزائر

جوائز .. وندوة .. وأمسيات شعرية

- * الرئيس عبد العزيز بوتفليقة : تشابه كبير بين الشاعرين .
- * عبد العزيز سعود البابطين : الشعر واسطة عقد فنون الأدب في الثقافة العربية .
- * الدكتور مبروك المناعي الفائز بجائزة الإبداع في مجال نقد الشعر : الفضل يرجع إلى الجامعة التونسية .
- * عندما يساهم المال العربي الخاص في دعم العمل الثقافي وتنميته .

2. الجزائر - عيد السلام لصيلىع

تحت رعاية الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة انعقدت في الجزائر من 31 أكتوبر إلى 3 نوفمبر 2000 الدورة السابعة لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري دورة أبي فراس الحمداني ، مع الإحتفاء بالشاعر الأمير عبد القادر الجزائري ، وذلك بمشاركة أكثر من 500 شاعر وناقد وإعلامي عربي من جميع أنحاء الوطن العربي .

تشابه كبير

وقد افتتح هذه الدورة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بخطاب أدبي طويل قارن فيه بين الشاعر أبي فراس الحمداني وبين الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري وقال :

« إِنَّ المُشْتَبِعَ لحياة الرّجلين يجد بينهما تشابها كبيرا ، فهما - أميران فارسان وشاعران ، يشاركان في صفات قلما اشترك فيها توأمان ، تتجلى في ما نقشا من شعر ، وما خاضا من معارك ، وما عانا كلاهما في الأسر والمنفى وما اتّصفا به من شيم عالية ومروءة وشهامة ، وذودهما عن كرامة النفس ، وعزّة الوطن ، وإعلاء كلمته .



وقد نشأ شاعرانا على ما ينشأ عليه الأمراء من تمرّس بالحرب ، ومن حبّ للنجدة والغروبسة ، حصنهما ظهر الجواد ، ورفيقهما السيّف ، وسميرهما سمهريّ مشقّف ، وقد ظهرت عليهما مبكّرة مخاللت الفتوة والنّجابة ، فعهد لهما ولياها وهما في العشرين من العمر بمهمّات في القيادة ، وسوق الجيوش ، والدّقاع عن الوطن ، وبيضة الإسلام ، وقد أبلّيا بلاء علق بالزّمن ، ولصق بالتاريخ ، وسبقى خالدا ما بقي الزّمن والتاريخ .

الشاعر العظيم

كما ألقى الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين رئيس مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري كلمة جاء فيها : « لقد اتّخذت المؤسسة من الشعر

مجال عملها لأن الشعر واسطة عقد فنون الأدب في الثقافة العربية ، فهو الأكثر امتدادا في التراث والأكثر إتصاقا بمشاعر الناس الفورية والعميقة ، وهو الفن الذي تجتمع في حيزه الكثير من الفنون ، وهو الأكثر رهافة وتأثيرا وتغلغلا في أعماق المتلقي بل هو الأكثر قربا من الفعل الإنساني مصدرا ومصبًا .

وإذا كنا نؤمن بحرمة الشعر ، وأنه الفرس الذي لم يروض بعد ، والقول الذي لا يتطلق بقرارات رسمية ، فأننا نؤمن أيضا بأن الشعر إلزام طوعي بالهموم والأمال الجمعية ، فالشاعر العظيم هو البلورة التي تتجمع في محرقها كل أشعة أبناء أمته ، من هنا يكتسب القول الشعري صدفه وعمقه وحدته ، وبدون ذلك يصبح شعاعا يذوب في الظلمة ولا يخرقها .

نتعلم من الأميرين أن الشعر لا يمكن أن يكون محايدا عندما تخوض الأمة معركة مصيرية ، والشاعر الحقيقي عندما تلتهب الأرض حوله لا يكتفي بالصراخ الشعري ، فلقد انسحب الشاعر في الأميرين إلى الخلف ليحل في المقدمة الفارس



المقاتل ، وأصبح الشاعر مساندا للمقاتل لا عوضا عنه .

جوائز الدّورة

- وفي الجلسة الافتتاحية وقع توزيع جوائز الدّورة على أصحابها وهم :
1. الشاعر العربي السوري الكبير سليمان العيسى : الجائزة التكريمية للإبداع في مجال الشعر .
 2. الدكتور مبروك المناعي من تونس : جائزة الإبداع في مجال نقد الشعر
 3. الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم من مصر : جائزة أفضل ديوان
 4. الشاعر محمد الثبتي من المملكة العربية السعودية : جائزة أفضل قصيدة
- في كلمة الفائزين

وقد ألقى الدكتور مبروك المناعي كلمة الفائزين جاء فيها بالخصوص : « ما أخرجنا في زماننا هذا إلى أن تزداد حركة التشجيع على الشعر ونقده في وطننا



العربي إنشاعا ، وأن تستعيد نشاطها الذي كان لها في عصور إزدهارنا القديمة .. ما أخرجنا إلى أن تتكاثر هيئات رعاية الإبداع الأدبي وتتضافر جهود الأفراد والمؤسسات على مزيد دعم الإبداع ورعاية المبدع »

وقال : « ولقد حاول البحث الذي أنجزناه ، والذي نال شرف هذه الجائزة أن يجسّم هذه الفكرة في نطاق طرح أشمل تصدينا فيه لدراسة صلة الشعر بالمسال وأثر



المال في آليات الإبداع الشعري ، مما يرجع الفضل فيه إلى الجامعة التونسية وإلى كلية الآداب منوبة على وجه التخصيص .

أصبوحة محمد الدرة

بعد ذلك قدّمت قراءات شعرية تحت عنوان « أصبوحة محمد الدرة » لعدد من الشعراء العرب مجتدوا فيها انتفاضة الأقصى وأطفال الحجارة بحضور السيّد آمال زكي أحمد الدرة أم الطفل الفلسطيني الشهيد محمد الدرة التي جاءت ضيفة شرف على مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري .

ندوة أدبيّة

وتضعت الندوة ندوة تخللتها خمس جلسات علميّة ، انقسمت إلى قسمين : القسم الأوّل عن أبي فراس الحمداني ، والقسم الثاني عن الأمير عبد القادر الجزائري

في مكتبة الإتحاف



عنوان الكتاب : دعي الحزن لي

المؤلف : الهادي العشمانى

الناشر : دار الإتحاف للنشر

تحتوي القصيدة على أربعين

قصيدة متنوعة المواضيع يقول في

إحداها ..

وطن ... يعلمني الوفاء إلى الوطن

والنخل والزيتون

يمنحني الكرامة

وأحتراف الصديق في لغة الوطن

عنوان الكتاب : التشيد الباهلي

المؤلف : عبد الحميد خريف

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الناشر : دار الإتحاف للنشر

مسرحية شعرية تعيد النظر في

ملحمة قلقامش السومرية بنظرة فلسفية

شعرية حديثة يفقد الشعر فيها إيقاعه :

يا بحر

يا لحن المسافر في الغروب

تغفو العيون هجيعها

وأظلم ولقفة على موج اللهب

أسائل النجم البعيد عن الغريب

عن راحل ركب الرياح

وطوحته بد الخطوب



في مكتبة الإتحاف

الهداية



مجلة ثقافية إسلامية

تصدر بتونس

عن المجلس الإسلامي الأعلى

مديرها المسؤول د. علي الشابي

رئيس المجلس الإسلامي الأعلى

رئيس تحريرها :

مصطفى الكيلاني

العدد 3

السنة 25 (1421 هـ) 2000 م

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

عمان

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن : أمانة عمان الكبرى

برأس تحريرها : عبدالله حمدان

العدد : 64

تشرين الأول 2000



المحتوى

2

كلمة العدد :

فكر، تاريخ، أدب وحضارة

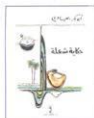
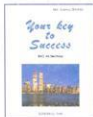
- 3 - تونس والمجتمع المدني : الخلفيات التاريخية بقلم : عبد الجليل المياوي والمسؤوليات الحضارية
- 17 - المحاولة / المغامرة للإكتشافي علي يرغل القرقي بقلم : محمد بن الأصغر الرامسية إلى احتلال جزيرة جربة.....
- 24 - ثنائية المرأة والزيتونة (محاولة في دراسة أسس بقلم : محمد بالراكند المجتمع الفلاحي بأقصى الجنوب التونسي : حالة جبال دمر
- 32 - لطفى بن عمر جمعة بقلم :
- في ذكراء السادسة عشرة : محمود الشبان : رجل تربية وأدب واجتهاد
- 39 - حوار مع الشاعر ركن الدين بونس بقلم : مازن المعموري إبداعات :

- برتريه..... شعر : الشير التلمودي 46
- سيات الأغاني! بقلم : عبد الحميد شكي 48
- توقعات على جرح مزمع..... بقلم : مختار الموني 53
- رقصة الطوفان..... بقلم : <http://Archivabeta.Sakbrit.com> 56
- يحدث السطح غدا بقلم : أبو طه مكاريا 58
- نوء يغزل الأثني بقلم : أميرة الروقي 61
- ومضات بقلم : برهان البسرزلي 62
- ذنوب العشق بقلم : محجوبة الجلاصي 63
- روحي..... بقلم : محمد العائش الفوتي 64
- انهيار الوهم بقلم : الشير التلمودي 65
- إيديولوجيا الشجن في رواية «أخاديد

- الزمن» قصة : محجوب العياري 71
- نصف دينار ثانيا وثالثا قصة : إبراهيم بن سلطان 75
- عودة الصبي قصة : محمد الأحمد 78
- الزردة قصة : الهادي الطباشي 82
- متابعات :

- الملتقى العلمي التاسع متابعة : محمود غانمي 85
- 95..... جائزة لياطين للإبداع الشعري في الجزائر.....
- 102..... في مكتبة الإنحال
- 104..... المحسوي

دار الانحاف للنشر



AL-ITHAF

NUMERO 118

DECEMBRE 2000

REVUE MENSUELLE CULTURELLE
EN TUNISIE 1.600 D
EN FRANCE 10 F.F.

ISS N° 0330 - 7.107